آثار المدينة المنورة

بقلم

عبد القدوس الأنصاري

طبعت على نفقة

المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

آثار المدينة المنورة

عبد القدوس الأنصاري

الطبعة الثانية

١٣٧٨ هجرية

المدينة المنورة

مصادر الكتاب

	الكتاب	المؤلف
١	تفسير الطبرى	لابن جرير الطبرى
٢	صحيح البخارى	لمحمد بن إسماعيل البخارى
٣	صحيح مسلم	لمسلم القشيرى
٤	سنن أبى داود	لأبى داود السجستانى
	السيرة النبوية	لابن هشام
٦	التيجان	
٧	الروض الأنف	للسهيلى
٨	التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة	المطرى
٩	وفاء الوفا	للسيد نور الدين على بن أحمد السمهودى
١٠	خلاصة الوفا	للسيد نور الدين على بن أحمد السمهودى
١١	عمدة الأخبار فى مدينة المختار	لأحمد بن عبد الحميد العباسى
١٢	نزهة الناظرين	للسيد جعفر برزنجى
١٣	مرآة الحرمين	لابراهيم باشا رفعت
١٤	رحلة البتنونى	لمحمد لبيب بك البتنونى
١٥	رحلة ابن جبير	لمحمد بن جبير
١٦	الكامل	لابن الأثير
١٧	معجم البلدان	لياقوت
١٨	وفيات الأعيان	لابن خلكان
١٩	تاريخ الدولة العلية العثمانية	لمحمد فريد بك
٢٠	صبح الأعشى	للقلقشندى
٢١	لسان العرب	لابن منظور
٢٢	القاموس	للفيروز بادى
٢٣	المصباح المنير	للفيومى
٢٤	قلب جزيرة العرب	لفؤاد بك حمزة
٢٥	مجلة الزهراء (م ٣)	للأستاذ محب الدين الخطيب
٢٦	تعليقات خطية على خلاصة الوفاء	للمرحوم الشيخ إبراهيم فقيه
٢٧	مشاهداتى ومعلوماتى الخاصة	

فهرس الكتاب

ذكريات

وإذا فاتك التفات إلى الما
ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

شوقى

شوقتنا الآثار للأعيان — وأثارت كوامنَ الأشجان
ربّ حرفٍ أغناك عن صفحات — ربّ رمزٍ كفاك عن تبيان
ولكم فى مدينة المصطفى من — ذكرياتٍ تَفيضُ بالإحسان
ربما شاقت النفوس إلى الما — ضى وما فيه من جليل المعانى
فهناك الدينُ القويمُ تجلى — باذخاً ظاهراً على الأديان
بعد ما ظلّ مستسرّاً زماناً — فى مطاوى الجحود والكتمان
أشرقت شمسه فكانت حياةً — وفداءً لميتٍ وعان

* * *

يا رعى اللهُ ليلةَ الهجرة الغرّ — اءَ كم أُدركت بها من أمان
وبنفسى مهاجراً فى سبيل الـ — حقّ لم يحتقب سوى الإيمان
هجر الارض لا أسرَّ لهافٍ — من حماها ولا أقرَّ لران[1]
لست أنساه ليلةَ الغارِ والصدّ — يق يحنو عليه كلَّ حنانِ
حائماً حوله فبينَ يديه — تارةً وهو خلفه فى آن
يتخشّى عليه شرَّ كمينٍ — وأذى طالبٍ ووثبة جان

---

(١) هما صفتان لمحذوف أى لا أسر لقلب هاف ولا أقر لطرف ران

باذلاً نفسه فدى لرسول اللـــه من ماردٍ ومن ثعبـان

* * *

أرأيت الجموعَ تأرِزُ للحرّة من شيخةٍ ومن شبان

تتنزّى قلوبهم بين أحنـا ء ضلوعٍ شديدة الخفقان

ساقها الشوقُ للحبيب فهبت تتلقى مشـارق العرفان

طلع المصطفى عليهم بوجهٍ دونه البدرُ مشرقٍ إضحيان

نسلت نحوه البصائر والأبـ صار خَفّاقةً بكل جَنان

ذاك خيرُ الورى وأشرفُ من يمـ شي على الأرض من بني الإنسان

* * *

كرُمت أمةٌ تولّتـه بالنصـ ر وفازت منـه بأرفع شان

تشرُفُ الأرض بالرجال وتسمو بسموّ الحُلول والقُطّـان

فسقى الله بقعةً قد حوت منـ ه أمنّ الورى على الأكوان

* * *

ذكرياتٌ ما تنقضي وشعورٌ ما عفَتَه عواملُ النسيان

أيقظتها صحائف من كتابٍ لأديبٍ ذي خبرةٍ وبيان

ولكَم فيه من صحائفَ تُورى كابياتِ الإحساس والوجدان

كلُّ سطر به يطالعك التا ريخُ بالسرّ منه والإعلان

* * *

حَفّ (عبدالقدوس) بالخير من أو لاه منه هدىً وصدق لسان

دمشق في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ أحمد عبيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

نحمد الله على توفيقه ، ونصلى ونسلم على صفوة أنبيائه ، وآله وصحبه الكرام .

أما بعد : فهذه دراسات عِلْمِيَّة أَثْمَرَتْهَا أبحاث وتنقيبات ومشاهدات شخصية لآثار المدينة المنورة ، أَضَعُها بين أيدى القراء ، كما عَايَنْتُهَا ، وكما حققتُها.

بَدأْتُ فى هذه الدراسات ، منذ ثمانية أعوام . . فطوراً ترانى جائلا فى شوارع المدينة وأزقتها مفكراً متأملاً ، وطوراً تجدنى سائراً فى ضواحيها مستكشفا ، أعلو الآكام وأستبطنُ الوهاد ، وأصعد إلى قمَم الجبال ، وأهبطُ إلى قرارات الوديان .

وكانت لوافحُ السَّموم لاتكبح من جماح همتى ، ولواذعُ القرِّ لاتفل من حد عزيمتى ، نظراً لما أشعر به من متعة روحية فى مهمتى .

وطالما اشتقت إلى أن أوفق لإيداع معلوماتى ومشاهداتى ونتائج بحوثى ، فى سفر يكون جامعاً لأشتاتها ، خصوصاً أن للبحوث الأثرية اليوم أهمية خاصة فى عالم التاريخ حتى أراد الله ذلك الآن .

والمدينة حافلة بالآثار إن لم تكن كلها آثاراً . . أليست من أقدم بلاد الله على وجه البسيطة ؟ فبانوها هم العمالقة ؛ وقد عرفت العمالقة . . وأنهم كانوا فيما قبل التاريخ . .

ثم . . ألم يتعاقب عليها السكان حتى جمعت أخيراً بين الخزرج والأوس اليمانيين العريقين فى التمدن ، وبين اليهود الذين عرفوا بالصنائع والكنوز والحصون ؟

ثم أليست مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ؟ فآثاره بها مشرقة منيرة ، منتشرة وفيرة .

ثم أليستْ مهدَ الإسلام ، وعاصمته الأولى ، التى تجبى إليها خزائن الملوك المفتوحة أقطارهم فتصرف فى أراضيها عمارات و بنايات !

ثم أليستْ قبلة الطوائف الإسلامية من شتى الأقطار ! ومصب وابل خيراتهم إذا نزحت بهم الديار !

كل هذا وذاك من طبيعته أن يجعل المدينة بلد آثار بحق ، وماهى الآثار

إن لم تكن مخلفات الأولين من عمارات وكتابات وصناعات ، وماإلى ذلك ؟

وتعمياً للفائدة ، وتنويراً لجوانب الموضوع قد حَلَّينَا الكتاب بخريطة أثرية تقريبية المدينة المنورة ، أخذنا تخطيطها من بعض مصادره ، ولهذه الخريطة التقريبية فوائد جمة ، من أبرزها أنها تدل على مواقع الآثار ، بصورة واضحة ، وفى الكتاب عشرة رسوم اكتشفنا بعضها لأول مرة فى تاريخ المدينة ، فأحببنا تسجيل هذا الاكتشاف وتخليده بأخذ صورها لأول مرة فى التاريخ أيضا .

هذا ومهما أكن توخيت التحقيق ، فلا آمن من زلقة الفكر ؛ وزلة القدم ؛ لأن هذا الموضوع الذى طرقته يكاد يكون بِكْراً إن لم يكنه بالفعل.. ولذا أرجو ممن يطلع على هفوة أن يرشدنى إليها مشكوراً ، تأميناً لإصلاحها فى الطبعات القادمة إذا وفق الله .

وأملى وطيد فى أن أكون قد قمت ببعض الواجب فى سبيل إحياء كثير مما انطمس من آثار هذه البلدة الطاهرة ، حتى أصْبَحَ مجهول الاسم ، أو مجهول الحقيقة ، أو غير معروفهما معاً . والله ولى التوفيق .

المدينة المنورة

عبد القدوس الأنصارى

مقدمة

الطبعة الثانية

بقلم الشاعر الحجازى الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ

هذا الكتاب التأريخى الأدبى « آثار المدينة المنورة » كان قد صدر فى طبعته الأولى عام ١٣٥٣ هـ ـــ ١٩٣٥ م ونفدت نسخه من عدة سنوات وقد لاقى شهرة واسعة فازداد عليه الطلب من كل جانب لما حواه من موجز واف لتأريخ هذا البلد الطاهر الذى تتجه اليه الأنظار وتهفو اليه القلوب من كل أقطار المعمورة .. لهذا تقدم ناشره بطبعته الجديدة هـــذه لعشاقه ومحبى اقتنائه الذين يقتنون فيه صفحات من حياة تاريخية لطيبة الطيبة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم .

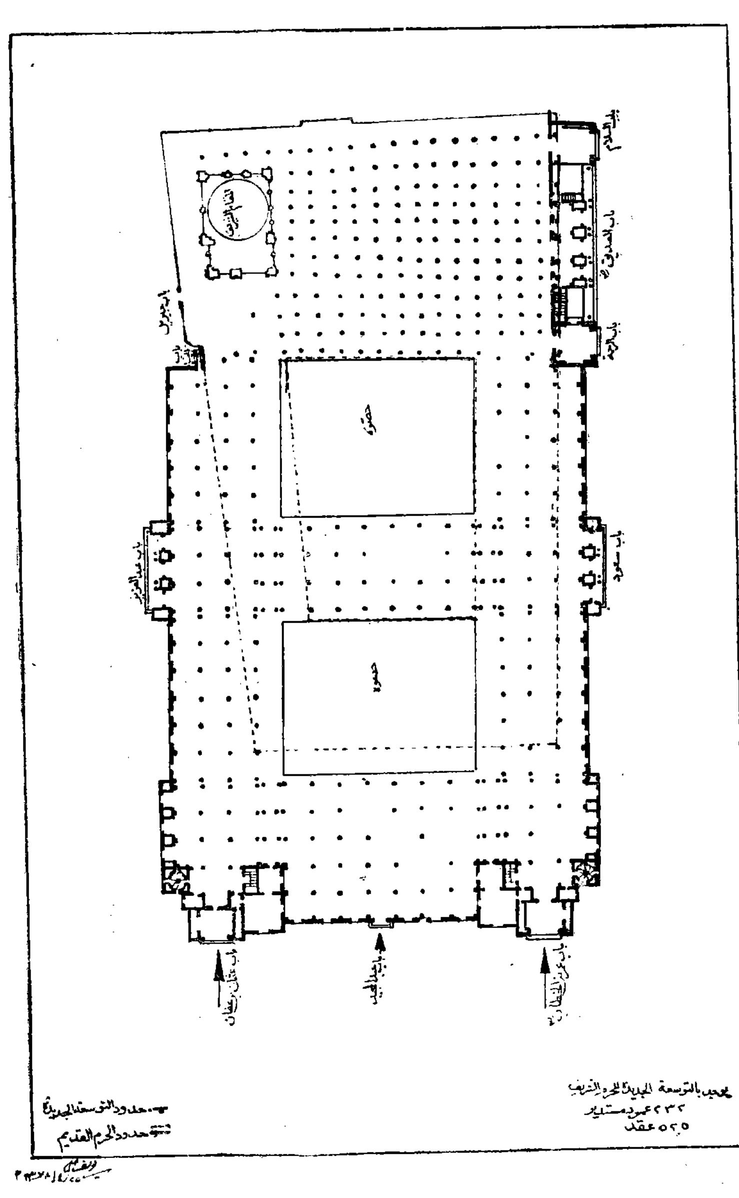
ومؤلف هذا الـــكتاب الأستاذ عبد القدوس الأنصارى أديب مخضرم معروف وكاتب فذ له مؤلفات أدبيـــة هادفة طبع بعضها .. وان مجلته « المنهل » الأدبية التى يصدرها منذ قرابة ربع قرن تؤرخ عمله الفكرى المتواصل وجهوده

الأدبية الموفقة .. وقبل ذلك العهد وهو يتنقل فى الوظائف الحكومية حتى أصبح الآن عضـــوا فى مجلس الشـــورى وسكرتيرا فى ديوان مجلس الوزراء بجده .

هذا وقد أشار (الناشر) فى حاشية الكتاب الى المواضع والأمـــكنة التى اندثرت أو أزيلت فى التوســـعة الأخيرة للمسجد النبوى .

وان الناشر الشيخ محمـــد النمنكانى صاحب المـــكتبة العلمية بالمدينة المنورة قد تعود نشر أمثال هذه الكتب القيمة لحسابه الخاص بغية اذاعة المعرفة وألوان التاريخ المتعلقة بالمدينة المنورة وبعض بحوث اللغة .. وتلك يد له وجب شكرها والله يوفقه فى عمله الذى لن يكون جزاؤه الا الثناء والخلود . وحسبه هذا من عمله الجليـــل فى خدمة العلم والثقافة العامة .

المدينة المنورة ـــ ربيع الثانى ١٣٧٨ هـ



باب السلام
باب الصديق
باب الرحمة
باب جبريل
باب عبد العزيز
باب سعود
صحن
صحن
باب عثمان بن عفان
باب عبد المجيد
باب عمر بن الخطاب
بيان بالتوسعة الجديدة للحرم الشريف
٢٣٢ عمود مستدير
٥٢٥ عقد
حدود التوسعة الجديدة
حدود الحرم القديم



قسم الدُّور

الدور

تمهيد :

إفتتحنا هذا القسم من الكتاب بداري كلثوم بن الهدم وسعد بن خيثمة الأنصاريّيْن ، لما لهما من ميزة بارزة : هي نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما أول مرة ، حين وصوله إلى قباء ، مهاجراً من مكة إلى المدينة .

ودور المدينة المأثورة كثيرة ، غير أن اللاتى أوردْتُها فيما يلى هى التى درستها ، وأستطيع أن أقول : إنها قد تحققتْ لدىَّ أثريتُها ، كما ثبتتْ لدىَّ مواضعُها .

(١)

دارا كلثوم بن الهدم ، وسعد بن خيثمة

هاتان الداران — مع كونهما مأثورتين — قد انطمست ذكراهما اليوم ، فلا تـكاد تجد أحداً يعرف موضعهما بالضبط والتحقيق ، بل لا تـكاد تصادف من يدرى أنّ بقرب مسجد قباء دارين متجاورتين كانتا منزل الرسول عليه الصلاة والسلام — هـذا مع اتفاق المؤرخين ، وكتاب السيرة النبوية على مُقام النبي صلى الله عليه وسلم بالدارين المشار إليهما[١] حين مقدمه إلى قبـاء . . فبهما قضى المدة التى قضاها فى هذه القرية الجميلة ، ذات الجو البديع الصافى ، والنسيم اللطيف الشافى . وعلى هذا فبناؤهما كان فى الجاهلية . . وقد كانتا موجودتين ومعروفتين فى عصر المطرى [القرن الثامن الهجرى] وزمن السمهودى [القرن التاسع] .

أمّا رأيُنا فى موقعهما ، بعد أن اندرستا ، فنورده لك فيما يلى :

روى السمهودى أنهما واقعتان بالجهة الجنوبية لمسجد قبـاء ،

---

(١) اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم دار كلثوم لاقامته ، ودار سعد لمجلسه مع الناس (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠)

وَحكى أَن دار سعد بن خيثمة تلى مسجد قباء من قبلته (أى تلى دار كلثوم إلى مسجد قباء) . . فترى من هذا النص ، ومن تصريح كاتبه أيضاً أن الناس كانوا يصلون الدارين بعد زيارتهم لمسجد قباء : إنه فى إمكاننا أن نؤكد أنهما واقعتان بمكان هاتين القبتين البيضاوين القائمتين اليوم بجنوبىِّ مسجد قباء بنحو ١٢ متراً ، لانطباق الأوصاف المذكورة عليهما ، وعلى موقعهما كذلك . . إذاً فدار كلثوم بن الهدم هى بموضع القبة المعروفة الآن بمقام العمرة ، ودار سعد بن خيثمة بمكان القبة التى تليها إلى مسجد قباء الملاصقة لها ، المعروفة ببيت فاطمة .

---

(٢)

دار أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه

أبو أيوب صاحب هذه الدار ، هو أحد بنى النجار من الخزرج ، أخوال عبد المطلب جدّ الرسول صلى الله عليه وسلم . وفى دار أبى أيوب هذه كان نزول الرسول ، أول مقدمه إلى باطن المدينة من

قباء . . وقد أقام فيها مدة تتراوح بين سبعة أشهر ، واثنى عشر شهراً ، وكان مُقامه من الدار بالسُّفل ، على ما رواه ابن هشـام ، وفى صحيح مسلم أنه انتقل بعد ذلك إلى العلو . وتاريخ بناء هـذه الدار مجهول لدينا ؛ وهناك رواية تقول إن بانيها هو تبع أبو كرب حـين قدومه إلى المدينة .

وهى فى الناحية الجنوبية الشرقية للمسجد النبوى ، ويحـدها شمالاً ، الزقاق الضيق النافذ المعروف بزقاق الحبشة[1] وجنوباً دار جعفر الصادق ، المعروفة اليوم بدار نائب الحرم[2] ، وغرباً الطريق ، وشرقاً ما وراءها من بيت البالى .

وقد انتابت هذه الدار تطورات ، فقـد ذكر السهيلىُّ فى الروض الأنف : أنها آلت بعـد صاحبها أبى أيوب إلى مولاه أفْلَحَ ، وأن أفلح هـذا لم يُفْلِحَ ، إذ باعها بعـد ما خربت ، للمغيرة بن عبد الرحمن بألف دينار ، وهـذا قام بترميمها ، وتصدق بها بعد ذلك على أهل

(١) لعل أصل هـذه التسمية مارواه أبو داود من لعب الحبشة بحرابهم فرحاً بقدومه صلى الله عليه وسـلم . وكان وقت لعبهم على مايفهم من فحوى كلام السمهودى عند نزوله صلى الله عليه وسلم بدار أبى أيوب ، فمن الممكن والحالة هذه أن يكون محل اللعب المذكور حينئذ فى رأس هذا الزقاق ، ولذا عرف بهم .

(٢) هى اليوم سكن فضيلة الإمام والخطيب للمسجد النبوى .

بيت من فقراء المدينة ، ثم لَجَّ تاريخها فى الغموض ، حتى أصبحت عرصة ، فاشتراها الملك شهاب الدين غازى بن الملك العادل و بناها مدرسة سميت بالمدرسة الشهابية ، نسبة إليه ، ثم تعطلت . وفى أواخر القرن الثالث عشر الهجرىّ أُعيد بناؤها بصفة مسجد مقبب ذى محراب ، ولا تزال إلى الآن بهذا الشكل ، فى القسم الجنوبىّ الغربىّ من دار آل البالى . . وعلى جدارها الخارجى حجر منقوش فيه بحروف بارزة مذهبة مانصه : (هذا بيت أبى أيوب الأنصارى موفد النبى عليه الصلاة والسلام فى ٧ سنة ١٢٩١) اهـ .

وفى تعليقات المرحوم الشيخ ابراهيم فقيه على خلاصة الوفاء : أنها عرفت باسم زاوية الجنيد ، فلعل شخصاً كان يدعى بهذا الاسم اتخذها زاوية فى وقت من الأوقات فنسبت إليه .

(٣)

دار عبد الله بن عمر رضى الله عنه

ذكر المطرى فى كتابه : (التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة) — أنّ البناء المعروف بدار العشرة[(١)] ، المنقوش على بابه ذلك اليوم ، والواقع بجنوب المسجد النبوىّ الشرقىّ هو دار آل عمر بن

(١) هذه الدار أدخلت فى الشارع الجديد الذى فتح فى قبلته المسجد النبوى فى التوسعة السعودية .

الخطاب . . وفى وفاء الوفا تصريح بأن الدار المشار إليها هى دار عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، ورثها من أخته حفصة أم المؤمنين ، رضى الله عنها وهى أخذتها تعويضا عن حجرتها التى أدخلت فى بناية المسجد النبوى وكان لهذه الدار نَفَقٌ من جنوب المسجد ، يُوصل إليها ، وفى عام ٨٨٨ هـ سُدَّ وردم بالتراب .

وقد دَخلتُ هذه الدار فى هذا العام — ١٣٥٣ هـ — فاذا هى عبارة عن شِبْهِ مدرسة واسعة ، تقوم فى وسطها شجرة (سيسبان) عظيمة ، زاهية الاخضرار عطرية الأرِيج . . وبجانب هـذه الشجرة بركة صغيرة ، وبئر معطلة ، وبأطراف المدرسة غرف بعضها جعل مخزناً لأشياء المسجد النبوى . ولهذه المدرسة نافذة تطل على المواجهة الشريفة .

ولا نعلم هل كانت فى وقت من الأوقات ، مأهولة بالسُّكان ؟ أم على هذا الوضع كانت من الأصل[1] ؟

(٤)

دار جعفر الصادق رضى الله عنه

هى فى الجنوب الشرقى للمسجد النبوى ، تلاصق دار أبي أيوب ،

---

(١) بعد كتابة ما تقدم ، عثرت فى وفاء الوفا (ج ١ ص ٤٦٢) على أنها مدرسة لم تعمر قط بالسكان .

من جانب هذه الجنوبيّ ، وتعرف اليوم بدار نائب الحرم[1] ، وكان هذا النائب يقيم فيها إلى عهد قريب ، فلما ألغيت وظيفة « نائب الحرم » من موازنة دائرة الأوقاف ، أصبحت الدار معروضة للايجار ، ومؤجرها هو القائم بإدارة أوقاف الحرم النبويّ .

وكانت الدار فى أول عهدها ، لحارثة بن النعمان الأنصاريّ ، ثم انتقلت لجعفر الصادق الحسينيّ المشهور .

وفى القرن التاسع كانت عرصة فاشتراها من ملاكها الأشراف « المنايفة » الشجاعيُّ شاهين الجماليُّ شيخ الحرم النبوى إذ ذاك ، وابتناها مسكناً لنفسه . ولا ندرى ما جريات تاريخها بعد ذلك ؟ وهى اليوم من أوقاف المسجد النبوى ؛ ولا نعلم كيف انتقلت من دَوْرِ المِلْكِيَّة إلى دور الوقفية ؟ كما أننا نجهل واقفها ! ويمكن أن يكون الشجاعيُّ شاهين نفسه هو واقفها على المسجد النبوى ، بعد وفاته ، لأنه كان شيخاً له . . وإثبات هذا يحتاج إلى الاطلاع على سجلات دائرة الأوقاف القديمة ، هنا .. وهل يوجد لديها الآن سجلات تصعد فى القدم إلى القرن التاسع[2] ؟

---

(١) هي اليوم سكن فضيلة الإمام والخطيب للمسجد النبوى الشريف .

(٢) كانت دائرة الأوقاف تعرف فى عهد حكومتى بنى عثمان والأشراف بالخزينة الجليلة ، وفى عهد هذه الحكومة عرفت بالاسم المذكور ، وقد سألت السيد حسين طه مدير الأوقاف عن أقدم سجل بدائرة الاوقاف ، فأخبرنى أنه سجل عام ١٢٥٥ هـ

(٥)

دار عثمان بن عفان رضي الله عنه

يفهم من تواريخ المدينة أنه كان لعثمان بن عفان ، داران متصلتان ببعضهما ، تقعان فى الناحية الشرقية للمسجد النبوى . . إحداهما : الصغرى ، والثانية : الكبرى[١] . . وكلتاهما بنيت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد نص صاحب وفاء الوفا على أن الأولى هى التى فى موضعها الرباط المعروف برباط سيدنا عثمان وذكر أن هذا الرباط ، للمغاربة . . وبهذا التنصيص كفانا مؤنة البحث والتنقيب . . فرباط سيدنا عثمان ، موجود بعينه الآن ، وهو من أوقاف المغاربة ، وبه مكتبة تحوى كتب الفقه المالكى وغيره وأكثرها خطية ، وهى فى دواليب خشبية عتيقة ؛ أخبرنى بعض نظار الرباط[٢] أنها أخرجت من الحجرة النبوية ، وأنها من مصنوعات الدولة العباسية ، ومما أهدته إلى الحجرة النبوية الشريفة . .

وهيا كل هذه الدواليب ، ونقوشها وحلقاتها — كل هذا يؤيد قول

---

(١) أما الكبرى فهى الرباط المشهور برباط العجم ، جزء منها أدخل فى الشارع الجديد الواقع بشرقى المسجد النبوى ، وأما الصغرى فبعضها أدخل فى الاستراحة الملكية المملوكة الآن للأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، وبعضها فى الرحبة الواقعة أمام باب جبريل .

(٢) هو المرحوم الحاج على الصباحى .

الناظر المشار إليه . وقد أفادنا السمهودى بأن قَتَلَةَ عثمان رضى الله عنه إنما تسوروا عليه من هذه الدار الصغرى ، إلى داره الكبرى التى كان يقطنها يومئذ .

أما دار عثمان الكبرى ، فيقول لنا إنَّ فى محلها رباط الأصفهانى ، وتربة أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ومعه فيها والد صلاح الدين أيضاً ، وفى محل الدار الكبرى أيضاً : دار مشائخ الخدام ، وبعدها جنوباً الطريق ، خمسة أذرع ، أو نحو ذلك ، ثم منزل أبى أيوب الأنصارى .

ونحن نقول (تمهيداً لتحديد هذه الدار تحديداً علميًّا) : إننا نرى أنَّ رباط الأصفهانىّ الذى نوه به السمهودى ، وقال عنه إنه جزء من الدار : هو الرباط المعروف اليوم برباط العجم ، لما ورد فى وفاء الوفا ، من كون بانيه وقفه على فقراء العجم ، ولانطباق ماحكاه من أن الواقف جعل لنفسه قبراً ذا شباك مقابلا للقبر الشريف — على الرباط المذكور ، حيث إنَّ فيه اليوم شباكاً هذا وصفه .

كما أننا نرتئى أن الدار التى ذكر أنها دار مشائخ الخدام : هى المعروفة الآن بدار مشيخة الحرم النبوىّ ، وكانت مخصصة لإقامة

شيخ الحرم النبوى فى عهد الحكومة العثمانية . . وشيخ الحرم النبوى هو شيخ الخدام بعينه فى الاصطلاح القديم (١)

والطريق الذى ذكر أنه فى جنوب الدار ، لا يزال موجوداً ، وهو زقاق الحبشة الذى أصبح عرضه اليوم مترين .

بعد هذا التمهيد فى وسعنا أن نقدم للقراء ، صورة حقيقية لدار عثمان الكبرى التى استشهد فى بعض غرفها ، بزاويتها الجنوبية ، فنقول : يحد هذه الدار شرقاً ، دارُهُ الصغرى (رباط سيدنا عثمان اليوم) ، وغرباً موضع الجنائز (فرش الحجر) وشمالاً طريق البقيع ، وجنوباً زقاق الحبشة .

ويفهم من قول ابن جبير فى رحلته « ويقابل باب جبريل عليه السلام دار عثمان رضى الله عنه ، وهى التى استشهد فيها » — أنها كانت موجودة معروفة إلى أواخر القرن السادس الهجرى .

---

(١) فى صبح الأعشى (ج ١٢ ص ٢٦٠ و٢٦١) فصل خاص بهذه الوظيفة والذى يهمنا من هذا الفصل ما فيه من الدلالة الصريحة على أن مشيخة الحرم النبوى ومشيخة الخدام لفظان مترادفان لوظيفة واحدة .

(٦)

دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه [١]

يؤخذ من وفاء الوفا أن دار أبى بكر التى اقتطعها له الرسول عليه الصلاة والسلام ، كانت شرقىّ المسجد النبوىّ ، قبالة دار عثمان الصغرى ، وأنها فى الطرف الشمالىّ من هذا الطريق المعروف بطريق البقيع ، وانها تنتهى إلى ما يحاذى رباط سيدنا عثمان . . هذا حدها الشرقىّ . . أما الغربىّ فالمدرسة المقابلة لباب النساء (زاوية السمان اليوم) ؛ وحدها الجنوبىّ طريق البقيع ، والشمالى غير معروف .

ومما يجدر بالذكر أنه بهذه الدار كانت وفاة صاحبها أبى بكر الصديق أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ما روته ابنته عائشة رضى الله عنها .

ويمكننا (بناء على ما مر من التحديد) أن نقول : إن [٢] دار أبى بكر هذه تتكون فى الأصل من مجموع كل من بيت السمان الآن ، والدار الملاصقة له غربًا ، إلى طرف المدرسة المقابلة لباب النساء المعروفة بزاوية السمان .

---

(١) لابى بكر رضى الله عنه دار أخرى بالسنح فى عالية المدينة بينها وبين المسجد النبوى ميل

(٢) هذه الدار أدخلت فى الرحبة الواقعة بشرقى المسجد مقابل باب النساء .

(٧)

دار ريطه [١]

ريطة ، هى ابنة أبى العباس السفاح ، وتقول دائرة المعارف الإسلامية التى يقوم بترجمتها بعض كتاب مصر ، إن هذا الاسم يطلق على أم السفاح أيضاً .

ودار ريطة ابنتِهِ ، هى المقابلة لباب النساء ، أحد أبواب المسجد النبوى ، وكان هذا الباب يعرف بها ، فيقال له : باب ريطة ؛ ونرى بناء على ما لريطة هذه من مكانة اجتماعية ممتازة ، أن لدارها ميزة عمرانية تتناسب مع مكانة صاحبتها ، ولهذا نسب إليها أحد أبواب المسجد النبوى ، فى عصر من العصور الغابرة .

ودار ريطة هى زاوية السمان اليوم ، وهى واسعة فخمة ، وعقد بابها المواجه لباب النساء رفيع متسع ، ومصراعاه جميلان ، كبيران ، مصبوغان بصبغ أخضر ، ومزخرفان بزخرفة القرون الأولى . وقد تأملْتُ ، مليًّا ، فى هذه الزخرفة البديعة ، وأخيراً أدركت أن أكثرها مكون من كتابة كوفية ، من النوع المشجر ، فحاولت قراءتها ؛ وهذا نص ما على كل مصراع :

(ا) منقوش على المصراع الجنوبى : « بركة كاملة ونعمة شاملة بركة

---

(١) هذه الدار أدخلت فى الشارع الشرقى للمسجد النبوى .

كاملة ونعمة شاملة الملك لله الملك لله »

(ب) منقوش على المصراع الشمالى مثل ذلك وكتابة أخرى لم أستطع حلها .

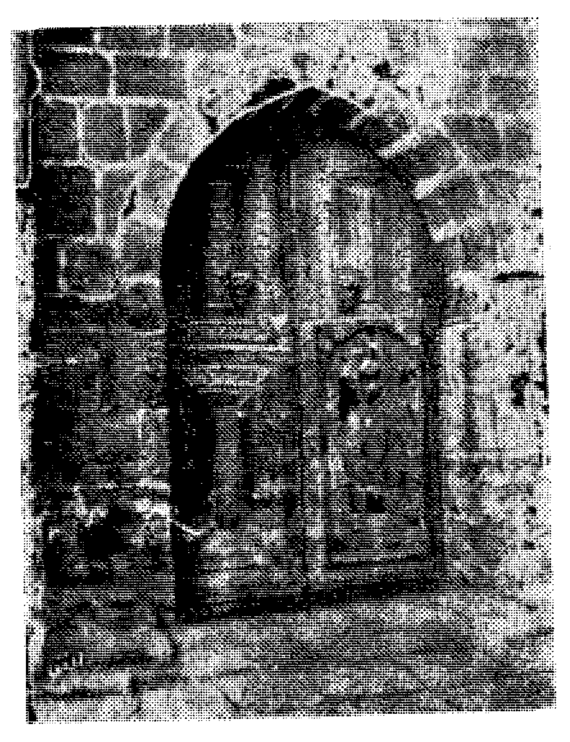
ونعتقد بنـاء على ما ذكره المطرى من أن يازكوح أحد أمراء الشـام بنى هذه الدار من جديد وعملها مدرسة للحنفيـة ، وجعل له فيها مشهداً (مدفناً) نقل إليه من الشام . . نعتقد ، بنـاء على هذا أن هذا الباب من آثار تلك البناية ، نظراً لشكله العتيق ، وشكل زخرفته النفيس .

والمطرى يرى أن هذه الدار هى دار أبى بكر الصديق التى توفى فيها ؛ والسمهودى ينتقد هذا الرأى ، ويثبت أن دار أبى بكر إنما تقع خلف دار ريطة فى جهة المشرق ، مستدلاً بما قاله ابن شبة من كون دار أبى بكر إنما هى فى زقاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى .

وبمؤخر الزاوية ، اليوم ، مـكان صغير ، يُروى أنه بيت الصديق ، وقد يـكون كذلك وقد يـكون مدفن يازكوح من دار ريطة .

هـذا وقد اختلط الأمر على صاحب مرآة الحرمـين إذ يقول :

« وكان فى مقابلة هــذا الباب (باب النساء) دار ريطة ابنــة أبى العباس ، وفى شرقيها دار أبى بــكر رضى الله عنه التى فى موضعها



مصراعا دار ريطة التى أصبحت زاوية السمان

الآن زاوية الشيخ عبــد القادر الجيــلانى أو زاوية السمان » اﻫ

أولا : ترى أنه جعل زاوية السمان ، دار أبى بــكر التى بشرق دار ريطه ؟!

(٨)

دار خالد بن الوليد رضي الله عنه (١)

حقاً إن رب الدار أدرى بما فيها .. فبمقدم هذا الرباط المعروف برباط خالد بن الوليد الملاصق لدار ريطة من جانبها الشمالىّ — كانت تقوم دار خالد بن الوليد ، وكنت لا اقضى العجب ، من تسمية هذا الرباط بهذا الاسم ! .. أخالد بن الوليد بطل الإسلام رباط ؟ أم هو ياترى خالد آخر ؟ أم أن هذه التسمية خرافة مخترعة ؟

ألحقُّ يقال : إن هذه الخواطر كلها كانت تتوارد على ذهنى كلما طرق سمعى اسم « رباط خالد بن الوليد » !

وأخيراً اتضح لي أن لهذه التسمية ظلا وارفاً من الحقيقة .. فكما أسلفنا إن بمقدم هذا الرباط الذى كان معروفا ، فى القرن التاسع الهجرى ، برباط السبيل — كانت تقع دار خالد بن الوليد التى اشتكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، شدة ضيقها ، فقال له : (إرفع البناء فى السماء ، وسل الله السعة)

وفى رأينا أن القبة الصغيرة المبنية بالطوب والطين ، الواقعة بمقدم الرباط ، ملاصقة لزاوية السمان — هى بموضع دار خالد بن الوليد ، لانطباق الوصف المروى بشأن الدار المذكورة على هذه القبة ، فمحيطها صغير ، وهى بمقدم الرباط .

(١) هذه الدار أدخلت فى توسعة الشارع الشرقى المسجد .

ورباط خالد بن الوليـد اليوم ، وقف من أوقاف طائفة الأغوات وقد هدم أعاليه فخرى باشا إبان الحرب العالمية ، ماعدا القبة المشار إليها آنفاً ، فقد حُفظت من عادية الهدم .

وبمؤخر هذا الرباط كانت تقع دار عمرو بن العاص ، فاتح مصر وبطل إجنادين .

أما انتقال دار خالد هذه من الملـكية إلى الوقفية ، فقد تم فى عهد صاحبهـــا ، إذ قد روى الواقدى أنه كان حبسها (أى وقفها) فلا تباع ولا توهب ، ثم انتقلت لأولاده ، وبانقراضهم انتقلت لأيوب بن سلمة بطريق الإرث ، ولذريته من بعده .

وفى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى كانت قسماً من هذا الرباط المنسوب لصاحبها والذى هو من أوقاف الأغوات ، منذ ذلك التـــاريخ إلى اليوم ، بموجب الحجة المخرجة من محكمة المدينة الشرعية بتاريخ ١١ ربيع الثانى سنة ١١١١ هـ .

(٩)

دار مروان بن الحكم

لمروان بن الحكم ، أمير المدينة ، فى أوائل النصف الثانى ، من القرن الأول الهجرى ، صفحة ناصعة فى عمران المدينة ، فهو مبلط أطراف المسجد النبوى بالحجارة ، ومجرى العين الزرقاء وبانى هذه الدار الفخمة ، التى ظلت بعده « مقر » أمراء المدينة ، إلى أمد مجهول لدينا الآن .

كانت دار مروان ، فى موضع المدرسة البشيرية[1] ، الملاصقة للمسجد النبوى اليوم من جهته الجنوبية الغربية ، شرقى باب السلام ، وقد سبق أن سمى هذا الباب ، من أبواب المسجد النبوى ، بباب مروان ، لملاصقة داره هذه له . وكان فى موضع المدرسة البشبرية « ميضأة قلاوون » التى أنشأها بموضع دار مروان ، سنة ٦٨٦ هـ .

إذاً فدار مروان ، إنما اعتورها ، طول مدى ثلاثة عشر قرناً ، انقلابان ليس إلا ! .

---

(١) هذه المدرسة أدخل بعضها فى الشارع الجديد فى قبلة المسجد ، وبعضها فى بناء المحكمة الشرعية الكبرى الحالى .

قسم القصور

القصور

تمهيد :

ما أكثر القصور التي شيدت بالمدينة المنورة وضواحيها في سالف الأزمان ؟ وما أقل الباقي منها إلى اليوم ! فالقصر الوحيد الذي ما زالت أطلاله ماثلة ، دون سواه — هو قصر سعيد بن العاص .

وفيما يلي وصفه :

(١)

قصر سعيد بن العاص (١)

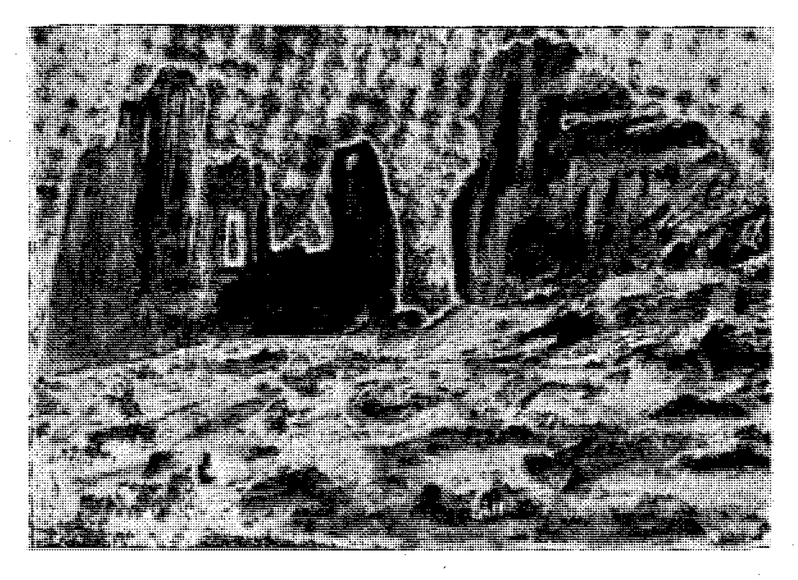
(وصفه . جهته بالنسبة للمدينة ومسافة بعده عنها وطريقه منها . نبذة من تاريخه) .

وصفه : — يقوم هذا القصر ، فى وسط العرصة الصغرى من العقيق ، و بشرقيه على مسافة قريبة منه ، بستان ، وطوله نحو ٣٦ متراً ، وعرضه نحو ٢٧ ، وارتفاع أطلاله الباقية نحو ٩ أمتار ، وسمك جدرانه ٧٦ سنتيمتراً ، وطوله وعرضه المذكوران إنما هما بضم الأقسام المتساقطة منه إليه ، و بناؤه بالحجارة المتوسطة الحجم ، و بالجص وحجارته غير منحوتة ، ولا أثر فيها للكتابة ، إنما توجد فى بعض أروقته ونوافذه نقوش على الجص ، و زخرفة بالطوب المجصص ، وقد عبث البدو بناحيته الجنوبية الشرقية ، إذ استحدثوا بها بناءً مسقفا لإيواء حيواناتهم .

والقصر مطلىٌّ بالجص من داخله وخارجه ، ولمتانة بنائه وتجصيصه بالصفة المذكورة تأثير كبير فى بقائه إلى هذا اليوم برغم اندثار ما بالعقيق من سائر القصور .

وفى جنوب القصر مسطبة (دكة) مندثرة لعلها كانت معدة للجلوس

(١) هذا القصر باق فى الجنوب الشرقى بداخل القصر الملكى .



بقايا قصر سعيد بن العاص

والسمر ، فى ليالى القمر ، والعشيات والبُكَر .

وبمقربة منه جنوباً وشمالاً ، تُرى سلسلة أكوام ، يعلوها رمل الوادى الأحمر ، وهى آثار دور قد تكون الدور المسماة بالقرائن التى كانت لبنى سعيد على ما رواه صاحب الأغانى .

جهته بالنسبة للمدينة ومسافة بعده عنها وطريقه منها : — القصر فى ضاحية المدينة الشمالية الغربية ، ويبعد عنها نحو ساعتين بالسير المتوسط . والطريق الموصل منها إليه هو هذا :

الباب الشامى — ثنية الوداع — طريق بئر رومة — لفتة إلى الغرب — طريق القصر — القصر .

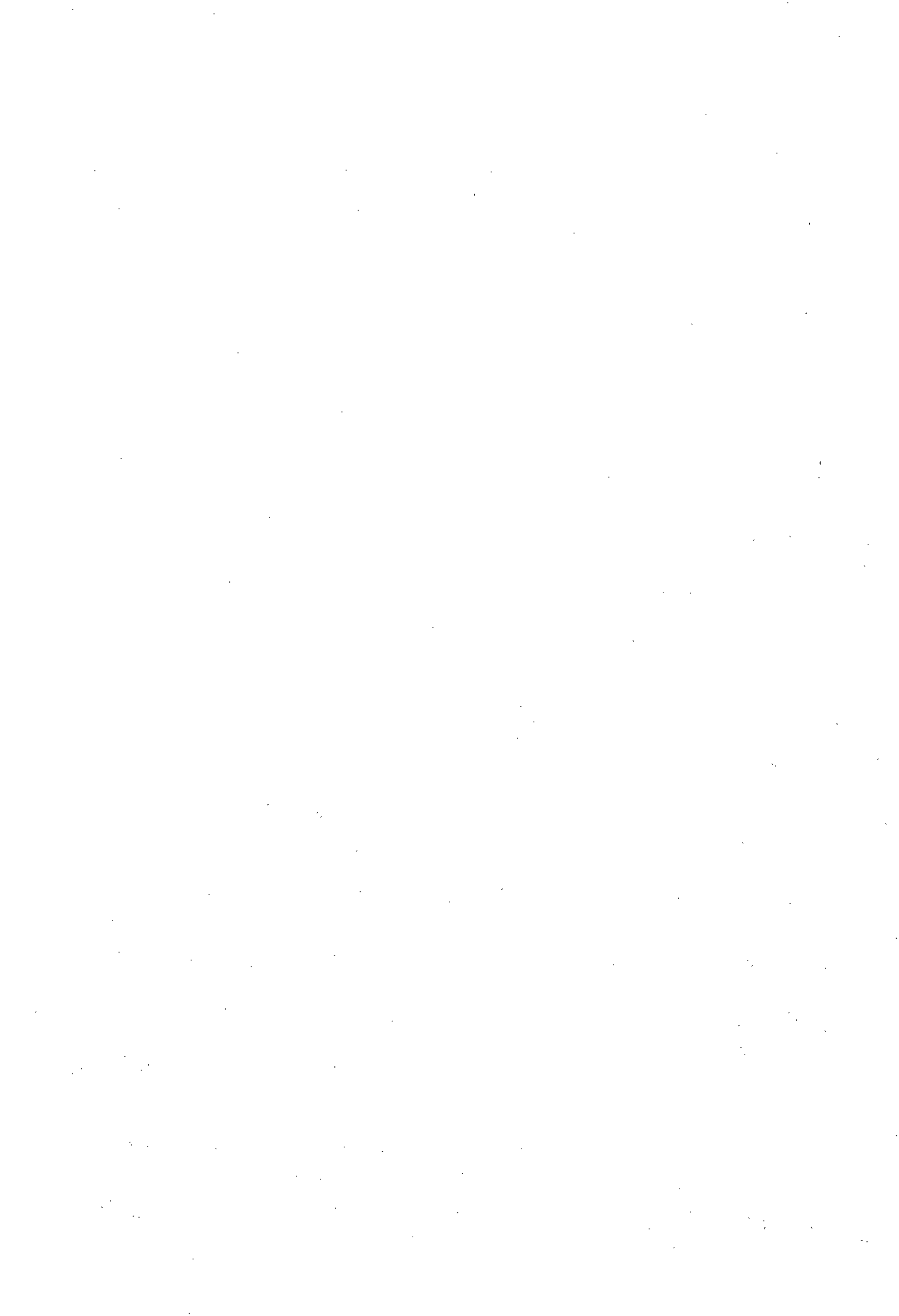
نبذة من تاريخه : — جاء فى وفاء الوفا : « ابتنى سعيد بالعرصة قصراً فى سرتها » وفيه أن القصر بالعرصة الصغرى . وفى مرآة الحرمين إيضاح لموقع هذه العرصة إذ ورد فيها ما تلخيصه : « القسم المقارب للمدينة من العقيق الغربىّ يسمى العقيق الكبير ، وفيه بئر عروة ، والقسم الشمالى يسمى العقيق الصغير ، وفيه بئر رومة ، وبهذا العقيق الصغير عرصتان : كُبْرى وهى التى تلى بئر رومة ، وصغرى تقع جنوبىّ الكبرى »

وسعيد بانى هذا القصر هو أحد أمراء المدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه ، وهو من مشاهير أجواد بنى أمية ، وقد كان معجباً بقصره هذا كل الإعجاب ، ولذا خصصه للنزهة مما يدلنا على مبلغ عنايته بتشييده وتأنيقه .

قال البتنونى فى رحلته : وكان هذا القصر فى أيام صاحبه آية فى جماله وفخامته ، بل كان آية من آيات القرن الأول الهجرى وأعجوبة من أعاجيبه ، حتى فضله الشاعر على أبواب جيرون (دمشق) التى كانت فى ذلك العهد عاصمة الخلافة ومكان فخامتها وأبهتها . اهـ

والشاعر الذى يشير إليه البتنونى هو أبو قطيفة إذ يقول :

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جيرون



قسم الحصون والآطام

الحصون والآطام

تمهيد :

فيما قبيل الإسلام كان سكان المدينة يتنافسون فى بناء الحصون وتشييد الآطام ؛ والباعث الوحيد لهم على ذلك هو الالتجاء إلى هـذا النوع من البناء العاصم ، إذا نشبت حرب بين مختلف الطوائف كما هو دائم الحصول .

والآطام ، وإن تـكن من نوع الحصون بالمعنى العام ، إلا أن لها وضعاً خاصاً ، فهى تشاد بالحجارة المختلفة الأقدار بينها حشو الطين ، ولهـا مساطب عالية تشرف على ما حولها و يتَنَزَّهُ من فوقها . أما الحصون فبناؤها بالحجارة الضخمة الهائلة المر بعة ، ولا حشو بينها ، وقد تـكون الآبار بداخلها . هـذا ما استنتجناه من الحصن والأطم الماثلين لليوم .

وكان المرجّى أن تبقى لنا يد الأيام طائفة من الحصون والآطام الـكثيرة ، ولـكنها لم تبق سوى اثنين هما : حصن كعب بن الأشرف ، وأطم الضحيان .

وفيما يأتى وصفهما :

(١)

حصن كعب بن الأشرف النبهاني (١)

وصفه . تحقيق عنه . عقبة علمية
وحلها . جهته بالنسبة للمدينة . مسافة بعده
عنها . طريقه منها .

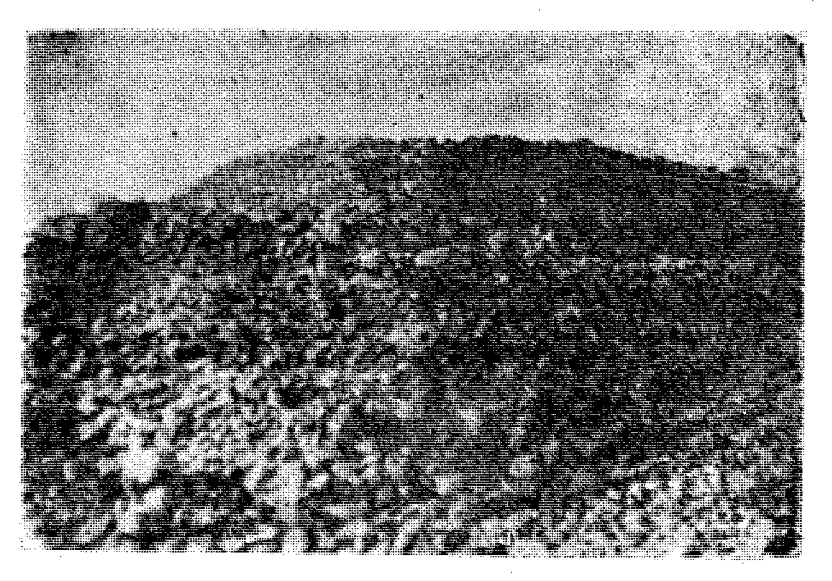
وصفه — يقوم على هضبة من الحرة الجنوبية الشرقية للمدينة ، وطوله ٣٣ متراً فى عرض ٣٣ وارتفاع مابقى من جدرانه ٤ أمتار وسمكها متر ، وله باب واحد فى الجهة الغربية وثمانية أبراج ضخمة و بناؤها من حجارة ضخمة ملتصق بعضها ببعض مباشرة ، طول بعضها ١٤٠ سنتيمتراً وعرضها ٨٠ سنتيمترا وسمكها ٤٠ سنتيمترا .

ولا أثر فيه للنقوش ولا للزخرفة — بناء حربى محض ، و بوسطه رحبة واسعة مربعة تبلغ مساحتها ألف متر مربع ، وهى غير مرصوفة ولا مبلطة ،

(١) ليس كعب بن الأشرف يهودياً ولكنه عربى نبهانى طائى ، مستخول فى بنى النضير ، وكانت له منزلة عالية بينهم ، لما لأخواله من المكانة فى بنى يهود ، كما له منزلة بين العرب لذلك ولشعره ، وبهذا الشعر طالما ألب المشركين على محاربة المسلمين ، وطالما سب أعراضهم ، فكفاً لإذايته بهذا العمل لله ولرسوله وللمؤمنين ، دعا النبى صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة لقتله ، فبادر بعضهم لتنفيذ رغبته العالية ، فذهبوا إليه فى حصنه ليلا واحتالوا عليه حتى أخرجوه منه وذهبوا به إلى شرقى المدينة فقتلوه هناك .

فالصخور الحرية ناتئة فيها ، و بينها انخفاضات وارتفاعات .

و بجوانب الحصن من الداخل ١٠ غرف مختلفة الأقيسة ، وأعاليه مهدمة .



بقايا حصن كعب بن الاشرف

ولما جاء فى كتب التفسير والحديث والسيرة من كون بنى النضير لما غُلبوا فى محاصرة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، واستسلموا عام ٣ أو ٤ هـ ، وحصل الاتفاق على جلائهم من المدينة مع حمل ما يستطيعون حمله

من أمتعتهم غير السلاح ، ومن ذلك أخشاب سقوف حصونهم ونجف أبوابها الجميلة المزخرفة — نقول : نظرا لمـا ذكر نرى أن سقوف هـذا الحصن وعقوده خربت من ذلك العهد ونقلت أخشابها فيما نقل يومئذ .

وإنّ هذا الحصن الهائل ، ذا الحجارة الضخمة السود ، والأبراج العظيمة ليعطينا صورة ناطقة ، عن كيفية بناء الحصون ، هنا قبيل الإسلام .

تحقيق عنه : — بقي علينا : هل هو ذا حصن كعب بن الأشرف بعينه أم هو حصن سـواه ؟ وقبل الإجابة عن هـذا السؤال ، أمهّدُ للقارىء بمـا رواه المؤرخون عن موقع الحصن ومنـازل بنى النضير ، التى هو من جملتها . .

فى وفاء الوفا : أنه لمّا هتف أبو نائلة بكعب بن الأشرف ، وهو فى حصنه ببنى النضير ليلة قتله . نزل له .

وفى سيرة ابن هشام ، والـكامل لابن الأثير ، ذِكْرٌ لحصن كعب ، ولـكن بدون تعرض منهما لموقعه .

بحثت عن منازل بنى النضير التى فيها الحصن ، فعثرت فى وفاء الوفا ، ومجلة الزهراء ، على أنها تقع بحرة زهرة (الحرة التى بطرف العالية) ، وبأطراف وادى مذينيب ، وبالنواعم وما والاها إلى الحرة . . وفى هـذا

الصدد يحكي السمهودي مشاهداته إذ يقول : « ورأيت بالحرة في شرقيّ النواعم ، آثار حصون ، وقرية بقرب مذينيب ، يظهر أنها من جملة منازلهم » أي منازل بني النضير .

بعد هذا التمهيد أقول : إنّ ماعملتهُ من بحث خصوصيّ عقب البحث العلميّ الآنف ذكره أكّد في نظري تأكيداً باتًّا ، أن الحصن الموصوف هو حصن كعب بن الأشرف بعينه وإليك الدليل : —

يقول المثل السائر : أهل مكة أدرى بشعابها . ولذا اهتممت بالوصول إلى حقيقة هذا الحصن من طريق الاستخبار من أهل هذه القرية . . كان جواب أحدهم ، لما سألته عن الحصن ولمن هو في الأصل ؟ هذا حصن النصارى ! فبادر زميل له بجانبه لتصحيح إفادته وقال : هذا حصن النصراني . . . وسكتا ، وصمتُّ أنا مفكراً في جوابيهما المتحدين في المآل . . حصن النصارى أو النصراني . . عجيب هذا القول ، وغريب هذا الفهم . . النصارى لم يستوطنوا هنا قط . فأنّى لهم بتشييد حصن ضخم كهذا ؟ ! إذاً لمن الحصن ؟ .. لاغَرْوَ أن البدوالأميين يجهلون الحقائق التاريخية ؛ وإنما مبلغهم من العلم أخبار وأقاصيص ، يتلقفونها شفويا من آبائهم عن أجدادهم بتناقلها من سلف لخلف ، يتطرقها التحريف والالتواء والتغيير .

و بالتالى ، فالبدْوُ هنا لايميزون بين اليهود والنصارى . . كل ماسوى المسلمين عندهم نصارى ؛ والنصارى يهود واليهود نصارى .. إذاً ماذا استفدنا من قول الرجلين .

كلٌ ما استفدنا منهما أنهما متفقان على أن الحصن قديم لغير المسلمين . . وغير المسلمين هنا قديماً هم اليهود ، وكعب بن الأشرف و إن كان نبهانياً من بنى طئ ، إلا أنه بحكم الخئولة والجوار أصبح يعتبر كواحد منهم .

لابأس ! هذه فائدة علمية لها أهميتها فى الموضوع ، و إن تكن مبتورة . فلنمض فى بحثنا قُدُماً .. فالحقيقة بنت البحث .

فى أثناء ذهابى مرة أخرى للحصن عام ١٣٤٧ هـ صادفتُ رجلاً قزماً بالقرب من الحصن اسمه علىٌّ يعرفنى بقدر ما أجهله ، وله بستان جميل فى أمّ عُشرٍ ؛ وهو من « بنى علىّ » أهل هذه الناحية . وعندما شاهدنى مقبلا إلى الحصن نهض إلىّ واستقبلنى هاشاً باشاً وقال : « أنت مقصدك أن تتفرج على الحصن ؟ » فقلت له : « نعم » فقال : تفضل ! هذا الحصن مِلْكُنا من قديم وكان . . . . . وهنا قاطعته قائلا : « إذاً لمن هو فى الأصل ؟ » فأجابنى بسرعة : « هذا هو حصن كعب بن

الأشرف » . . وتقدمني مرشداً ، وأراني الخراب الحادث به من قِبلِ فخرى باشا ، فشكرته ؛ وحاولت الانصراف منفرداً ؛ فأسرع إليَّ يتابعني . ولما حاذينا باب بستانه أقسمَ لأدخلنّه ، ولأقيلن عنده سحابة يومى . . ولظمئي دخلت معه البستان فلما شربت استأذنته في الخروج معتذراً ، فقبل بعد إلحاح وتوسلات .

عقبة علمية وحلها — بعد الوصول إلى ما شرح قامت في ذهني عقبة علمية جديدة حالت دون اقتناعي تماما بأن هذا هو حصن كعب بن الأشرف ، برغم قيام الدلائل الموضحة سابقاً .

وتلك العقبة هي : أنه إذا كان هذا هو حصن كعب بن الأشرف ، وهو معدٌّ للاقامة والحرب والحصار ، فمن أين يشرب سكانه ، إذا نفد ما أتوا به من ماء ، من الخارج ؟ لاجرم من وجود بئر بداخله ليتحقق أنه هو ، وإلا فلا . . وفي فكرى أني لم أعثر على بئر بداخله ، في أثناء جولاني في رحبته ، وأنحائه الداخلية .

قد يقول قائل : كثير من الحصون لا آبار فيها ، فأقول له نعم : ولكن ليست كلها سواءً ، فمثل حصن كعب ، المعد للاقامة والطوارىء معاً ، في موقع كموقعه ، ومكانة كمكانة صاحبه : لابد أن تكون فيه

بئر داخلية[1] سداً لثلمة الاحتياج إلى الخارج فى ألزم شيء لحياة الإنسان ، وهو الماء ، إذا اشتد الأمر ، وحوصر من بداخل الحصن مدة طويلة ، كما هو متوقع .

فى الحق أن مشكلة عدم عثورى على بئر بداخل الحصن ، اغتص بها ريق فكرى أمداً مديداً ، وفكرتُ فيها شهوراً ، وحادثت عنها بعض الرفاق . . حتى كان عام ١٣٥١ هـ فذهبت فى أحد شهوره معهم إلى الحصن ، فوجدنا — مصادفة — صاحبى « علياً » وبعد التحيات ، والترحيبات والتعريفات ، أعاد كلمته الأولى : أنتم مقصدكم أن تتفرجوا على الحصن ؟ » . . فقلنا : « نعم » ، فتَقَدَّمَنَا يقفز أمامنا بخفة ، فوق حجارة الحرة ، وصار يدلنا ، ويحكى لنا حكايات عن الحصن ، ويقول : إنه ورثه من أجداده ، وإنه ، وإنه . . فاجأته بسؤال ، مستوضحاً ومختبراً : « ياأخى علىّ ! أين البئر ؟ لا بد أن تكون بداخل الحصن . . » . وحالّا أفاض الأخ علىّ ، بما طيب الخاطر ، وحل عقدة الاشكال .

(١) يؤيد هذه النظرية ما ورد فى سيرة ابن هشام (ج ٣ ص ١٩٥) من حصار النبى صلى الله عليه وسلم لبنى قريظة فجأة فى حصونهم ٢٥ يوما فلولا أن بداخلها آبارا لما استطاعوا المقاومة طول هذه المدة .

قال : « تعالوا أريكم البئر ، ها هى : (فى الجهة الجنوبية خارج الحصن ملاصقة له) وقد انهارت بطول الزمن » .

فقلت له : « إذا كانت بئر الحصن هى هذه على ما تقول ، فالمستقون منها ، لم ينجوا ، بَعدُ ، من خطر الأعداء ، لأنها خارجة عن الحصن » .

قال : « لا . . إن مدخل البئر من داخل الحصن هنا — (وأشار إلى مكان بداخل الحصن مناوح للبئر الخارجية) بدرج ، ينزل منه المستقون ، من تحت هذا البرج ؛ وقد طم التراب والحجارة على المدخل والدرج . . أولاَ ترى هذا البرج ؟ » .

قلت : « بلى ، أراه ! » .

قال : « بعد أن يهبط الواردون إلى البئر من الدرج الذى أشرت لك به ، يقف الرجال حاملى السلاح فى هذا البرج لحراستهم إذا أحوج الحال .

وبهذه المحاورة الطريفة التى دلت على رجحان عقل صاحبنا (علىّ) وبمقارنة إفاداته مع ما مر ذكره ، من تنويه المؤرخين بأن الحصن فى منازل

بنى النضـــير ، وأنّ منازلهم ، بأطراف هذه الحرة التى فيها الحصن المبحوث عنه — من كل ذلك يتضح أن هذا الحصن ، هو حصن كعب ابن الأشرف بعينه .

وهو بضاحية المدينة الجنوبية الشرقية ، و بينه و بينها نحو ساعتين ونصف .

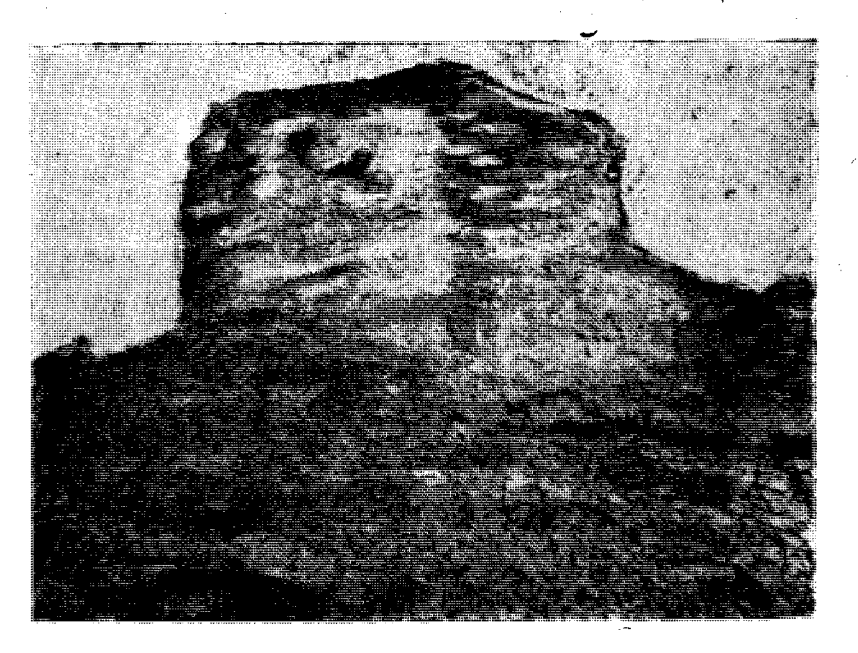
والطريق الموصل إليه منها هو هكذا : « باب العوالى — طريق قربان — أم عشر — أم أربع — جزء صغير من الحرة — الحصن » .

::::::::::::::::

(٢)

أطم الضحيان (١)

أطم عظيم ، مشيد بحجارة الحرة السود ، طوله نحو ٢٧ متراً ، في عرض ١٢ وارتفاعه نحو ٨ أمتار ، وقد تساقط قسمه الجنوبيّ ، حتى



أطم الضحيان

(١) الأطم : الحصن .

ليكاد ينمحى أثره . . أما القسم الشمالىّ منه ، فلا يزال متماسكا ، عالياً ، برغم تناثر كثير من حجارته العلوية ؛ ولضخامته لم يظهر أثر كبير لهذا التناثر .

وهو واقع بالعرصة الكائنة غربىّ بئر شميله ، وشمالىّ العصبة .

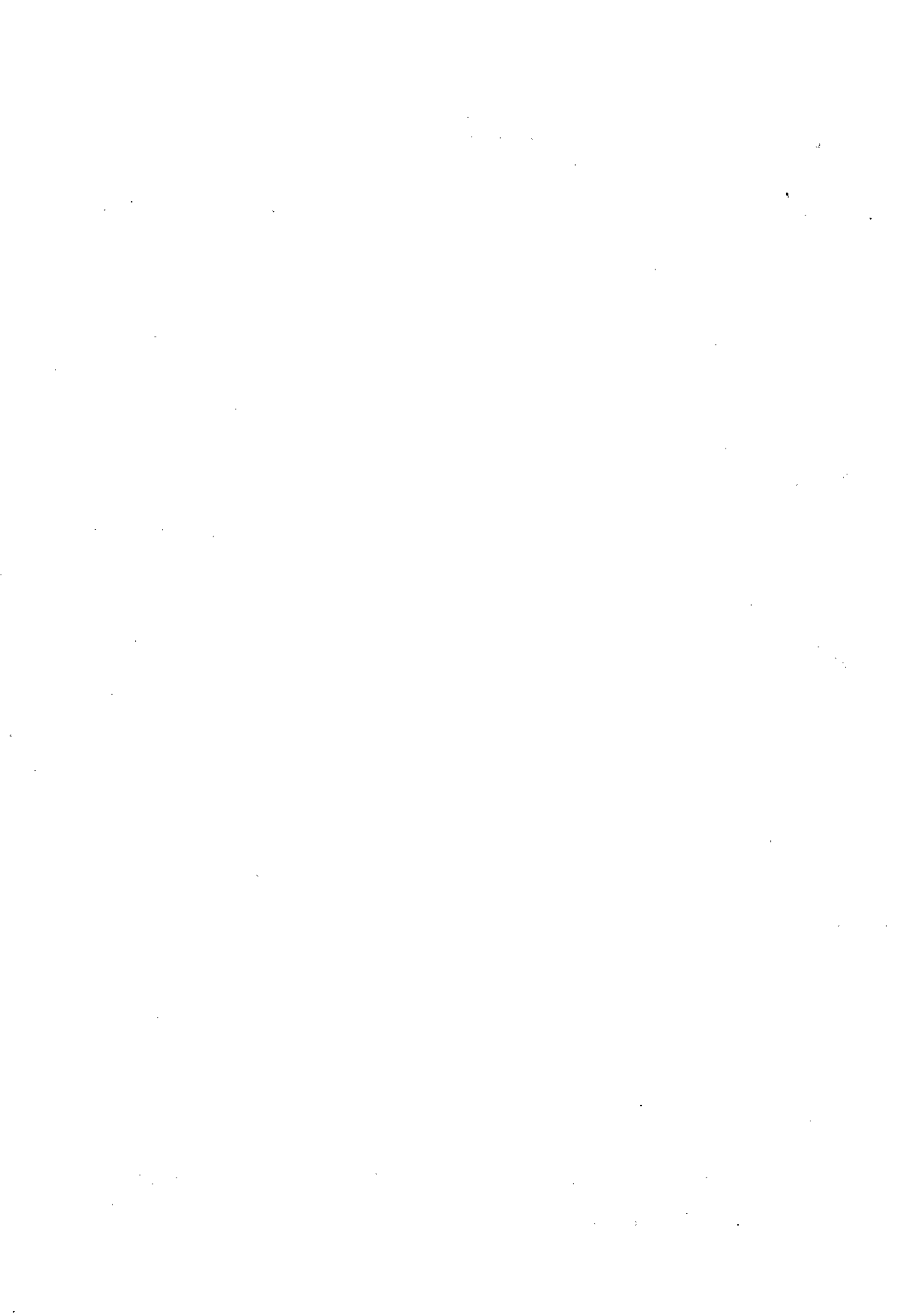
طالما وقفت مبهوتاً أمام هذا الاطم العظيم ؛ وقد كنت إخال أنه من آطام اليهود ، حتى عثرت فى وفاء الوفا ، على ما كشف لى عن حقيقته . . قال السمهودى فى معرض بحثه عن منازل الأنصار : « وابتنى أحيحة ابن الجلاح بالعصبة أطماً ، يقال له الضحيان ، وهو الأطم الأسود الذى بالعصبة » .

والعصبة على ما يفهم من فحوى أقوال مؤرخى المدينة هى عموم هذه البساتين الواقعة غربىّ مسجد قباء ، التى يفيض فيها وادى رانوناء ، كما أن السيح أو السيحىّ هو البساتين التى بغربىّ مسجد الفتح فى العرف القديم .

وهذا الاطم جاهلىّ كغيره من آطام المدينة[1] .

---

(١) فى وفاء الوفا ج ص ١٤٧ و ١٤٨ ما يدل على أن جميع آطام المدينة جاهلية البناء ، ما عدا اطم بنى ساعدة ، فقد قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهو يبنى .



قسم المساجد

المساجد

تمهيد :

المدينة بلد المساجد ، وبما أن موضوع كتابنا محصور فى الآثار فقد اكتفينا بإيراد المأثور منها ؛ وليس كل المساجد المأثورة ذكرنا ، بل المشهور ، وما تحققناه من المغمور ، وقد راعينا فى هذين النوعين أن يستجمعا شرطين :

١ — ثبوت علاقة المسجد بالرسول عليه الصلاة والسلام أو ببعض أصحابه .

٢ — تحقق موضع المسجد المشار إليه .

هذا ومما يجدر ذكره أنه لم يبق إلى اليوم مسجد من المساجد المأثورة على بنايته الأولى بعينها ، فقد حصل فى جميعها التجديد ، وذلك لأمرين :

١ — عناية المسلمين بها .

٢ — بناياتها وتأثرها بالعوامل الطبيعية ، من حر وبرد ورياح وأمطار .

وفيما يلى وصف المساجد المأثورة :

(١)

مسجد قباء

جهته بالنسبة للمدينة ووصفه . مسافة
بعده عنها وطريقه منها . تاريخ عماراته

جهته بالنسبة للمدينة ووصفه — مسجد قباء فى الجنوب الغربى المدينة ، شكله مربع وضلعه ٤٠ متراً ، وعدة أساطينه ٢٩ ، وفيه محراب ، ومنبر رخامىّ عتيق ، كان الأشرف قايتباى أهداه للمسجد النبوى ليوضع فى مكان المنبر المحترق ، وذلك سنة ٨٨٨ هـ و بعد أن بعث السلطان مراد العثمانى بالمنبر الحالى إلى المسجد النبوى نقل هذا المنبر إلى مسجد قباء.

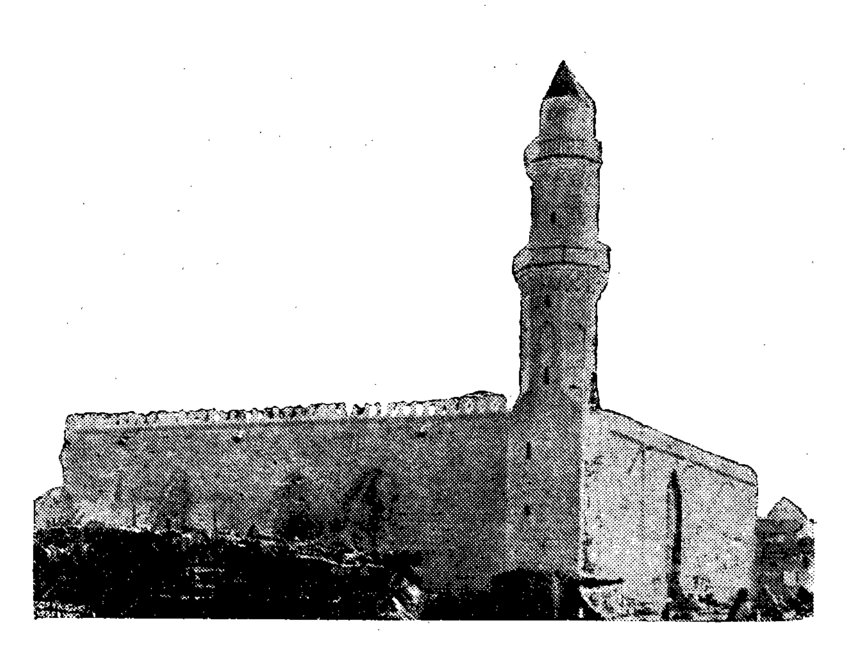
ولمسجد قباء مأذنة وفيه رحبة محصبة ، فيها قبة يقال إن بها مبرك ناقة[١] النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الرحبة بئر . و بجدار المسجد القبلى فى شرقيه محراب يقال له : (طاقة الكشف) . وفيه يقول صاحب مرآة الحرمين : (ولا أدرى كشف أى شىء ؟) .

ومما يلفت النظر من آثار هذا المسجد هذا الحجر المنقوش بالخط الكوفى القديم فإنه ناطق بعمارة المسجد من قبل أحد الأشراف عام ٤٣٥ هـ

(١) إن محله قد أزيل وإن البئر قد سدت وإن طاقة الكشف قد أزيلت فى الترميم والإصلاح الحالى للمسجد .

وكأنه نقل فى بعض تعميرات المسجد من بابه إلى هذا المحراب . وهذا نص ما عليه[١] :

بسم الله الرحمن الرحيم : إنما يعمر مساجد الله (الآية) أمر بعمارة مسجد قباء الشريف أبو يعلى أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن رضى الله عنه



مسجد قباء

(١) مع ما لهذا الحجر من أهمية أثرية وتاريخية معاً ، لم يتعرض له مؤرخو المدينة الذين اطلعت على تواريخهم .

ابتغاء ثواب الله وجزيل عطائه . . . على يد الشريف حسن المسلم . . .
ابن عبد الله بن مساك ، فى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة هـ .

وللقسم المسقف من المسجد قباب ، وعدة أروقته ٦ ، وفى الرواقين اللذين بمؤخره غرفة لوضع أمتعته وفرشه ، وله دعائم خارجية فى جنوبه وشماله وشرقه ، لتقوية جدرانه من هذه الجهات نظراً لانخفاض ما يجاورها من الأرض .

مسافة بعده عن المدينة : — يبعد عنها نحو ٤٠ دقيقة بالمشى المعتدل ، باعتبار مبدإ السير من باب قباء .

طريقه منها : — كان لمسجد قباء طريق ضيق معوج جداً ، يتجه بعد باب قباء إلى الجنوب الغربىّ ، ثم ينعطف إلى الشرق ، ثم يعود إلى الجنوب ؛ وهكذا حتى يصل إلى المسجد ، وهو مع هذا مملوء بالحُفَرِ والشقوق ، وعلى طرفيه الصِّيَرَانُ (النخل الصغير النابت من النوى رأْساً) التى يضايق سعفها المارين .

وفى عام ١٣٣٦ هـ شق فخرى باشا طريقاً مستقيما واسعاً إلى المسجد وغرس بجوانبه الوَدْىَ (صغار النخل) والأثل لتظليل السائرين ، وظلت هذه الجادة مسلوكة طول مدة الحكومة الهاشمية وشيئاً من عهد الحكومة

السعودية ؛ فلما أصدرت هذه ، الإذن لأصحاب البساتين ، باستعادة ما اقتُطِعَ منها للجادة الحديثة ، حجز كل ما يخصه ، وبذلك بدأ دور انقطاعها حتى وصل الأمر أخيراً إلى سدها بالمرة ، فعاد المشى من الطريق القديم الملتوى ، وفى عام ١٣٥١ هـ جدد فتح هذا الطريق معالى وكيل أمير المدينة عبد العزيز بن إبراهيم ، حيث اهتم بشراء ست عشرة قطعة من الأراضى الواقعة فيه بماله ، وجعلها وقفاً لله تعالى من لدنه ، كما تنطق به الحجة المخرجة من محكمة المدينة الشرعية الكبرى المؤرخة فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ والمقيدة فى سجل هذه المحكمة بعدد ١٠٧ جلد ١ ، وقد أزال الحواجز ، وأعاد فتح الطريق من جديد ، وبنى بجانبها أعلاماً للتجديد ، فرجع السير فيها كما كان .

والطريق الجديد يبتدىء من باب قباء ، ويتجه إلى الجنوب ، فإذا حاذى بستان[1] الجزع ، انحرف إلى الشرق ، ثم إلى الجنوب حتى يبلغ مسجدقباء .

تاريخ عماراته : — أُسس هذا المسجد المبارك ، على يد النبى صلى الله عليه وسلم ، لأول مرة ، وذلك حين قدومه إلى قباء من مكة فى الهجرة ، وهو أول مسجد أسس فى المدينة وكان الرسول عليه الصلاة والسلام ، يعمل فيه بنفسه :

(١) قد أخذ جزء منه فى شارع قباء اليوم .

ثم لما اعتراه الخراب فى خلافة عثمان بن عفان جدده وزاد فيه .

ومن بعده عمر بن عبد العزيز فى زمن إمارته على المدينة ، للوليد بن عبد الملك الأموى (٨٧ — ٩٣ هـ) وقد بالغ عمر فى تنميقه وتوسعته ، وهو أول من عمل له مأذنة ، وجعل له رحبة وأروقة .

وفى سنة ٤٣٥ هـ عمره أبو يعلى الحسينى كما ينطق به الحجر الأثرىّ ، الموضوع على المحراب المعروف بطاقة الكشف .

وفى عام ٥٥٥ هـ جدد جمال الدين الأصفهانى بانى رباط العجم قرب باب جبريل . وجدد فى سنة ٦٧١ هـ ، وفى عام ٧٣٣ هـ ، وعام ٨٤٠ هـ ، وعام ٨٨١ هـ .

وفى زمن الدولة العثمانية عمر عدة مرات ، وآخرها عمارات حدثت فى عهد السلطان محمود الثانى سنة ١٢٤٥ هـ وابنه السلطان عبد المجيد .

(٢)

مسجد الجمعة

يقع هذا المسجد فى بطن وادى رانوناء بشرق الطريق المستحدث إلى مسجد قباء ، ويراه سالك هذا الطريق إلى قباء عن يساره فى وهدة من الأرض ، وذلك قبيل بستان الجزع .

وطول مسجد الجمعة ٨ أمتار فى عرض ٤ أمتار و٥٠ سنتيمتراً وارتفاعه ٥ أمتار و٥٠ سنتيمتراً . وهو مبنى بالحجارة المطابقة بناء جيداً ، وله قبة واحدة مبنية بالطوب الأحمر وبالجير ، فى داخلها من العلو أربع فتحات ، ترسل إليه النور والهواء ، وله حظيرة فى شماله طولها ٨ أمتار فى عرض ٦ ، وارتفاع جدارها متران .

وعلى جنبتىْ بوابة المسجد التى هى عبارة عن عقد مفتوح بغير مصراعين — حجران من الرخام الأبيض مستطيلان مثبتان فى الجدار ، وهما منقوشان بخط متداخل جداً ، قرأت منه : (أمر ببناء هذا المسجد المبارك الجمعة مولانا أمير المؤمنين السلطان الملك المظفر السلطان بايزيد بتاريخ شوال سنة . . .) .

والسلطان با يزيد هذا من سلاطين آل عثمان ، وتولى السلطنة ما بين عامى ٨٨٦ هـ ٩١٨ هـ . و إذاً فبناية مسجد الجمعة الحالية لها الآن نحو أر بعة قرون ونصف .

ومسجد الجمعة مأثور ، و يكفيه أنه أول مسجد صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس ، وذلك حينما أقبل من قباء إلى باطن المدينة أيام الهجرة .

وكان المسجد فى الأصل واقعاً فى منازل بنى سالم من الأنصار ، أما اليوم فهو فى وسط صفصف خالٍ ، بشرقيه شجرات الطرفاء الباهتة المعوجة ؛ و بغر بيه قطعة أرض جرداء ، و بجنو به بستان ، و بشماله بستان ، وكان يعرف بثلاثة أسماء : مسجد الجمعة ، ومسجد الوادى ، ومسجد عاتكة . ولما فى الاسم الأول من قوة ودلالة على المسمى تغلب إطلاقه على المسجد ، و به يعرف إلى اليوم .

(٣)

المسجد النبوى

موقعه ووصفه العمومى : — هذا المسجد الشريف فى قلب المدينة ، من ناحيتها الشرقية ، وهو شبه مستطيل . . قال صاحب مرآة الحرمين : « طوله من الشمال إلى الجنوب ١١٦/٢٥ متر ، وعرضه من الجهة القبلية ٨٦/٢٥ متر ، وعرضه من الجهة الشمالية ٦٦ متراً » اه

وأغلبه مسقف بالقباب ، و بناؤه شامخ فى السماء ، وأروقته ٣٠ ، منها ١٢ فى جنوب صحنه و ٣ بشماله و ٢ بشرقه و ٣ بغربه ،

وقبابه مشادة على عقود ، تحملها أساطين من الحجر الأحمر ، تجمع إلى المتانة .
الرشاقة والإبداع؛ منها المستدير ، وهو ما داخل الأروقة ، ومنها المربع ،
وهو الملتصق بحوائط المسجد ، وعدتها جميعاً ٣٢٧ ، تنقسم هكذا : —

ا — فى الجهة الجنوبية للصحن : (٢٢٣ منها ٣١ مرخمة إلى أنصافها بقطع ملونة .

ب — فى الجهة الشمالية للصحن : (٢٥)

ج — فى الجهة الشرقية للصحن : (٢٧)

د — فى الجهة الغربية للصحن : (٥٢)

زخرفة قبابه : — وفى تجاويف قبابه غرائب من صور النباتات ، والأزهار والأستار ، تخلب الأبصار ، وبينها آيات وقصائد مكتوبة بخط بديع .

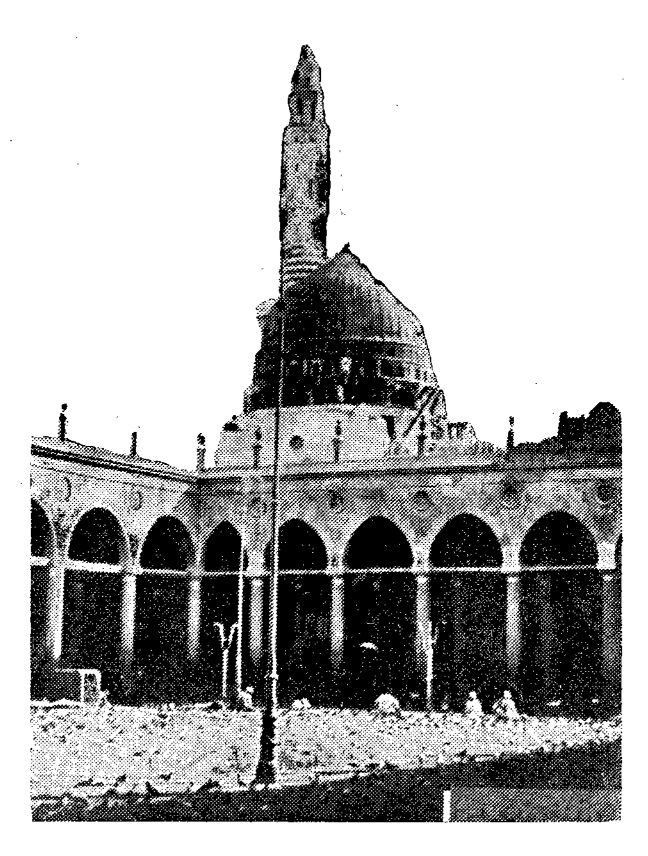
زخرفة الجدار القبلى : — فى هذا الجدار أشكال الفسيفساء الجميلة ، ويعلوه (١٤) كوة مكونة من شبكة حديدية ، فى منتهى الدقة والانتظام ، وأمام المواجهة الشريفة نافذة تطل على دار عبد الله ابن عمر .

المحراب العثمانى — يقع فى وسط هـذا الجدار القبلىّ ، وهو محلى بقطع الرخام الملون ، وتمر فوقه مناطق فيها آيات بخط غاية فى الإبداع .

وأرض الرواقين الجنوبيين مفروشة بالرخام الأبيض ، وفى نهايتهما غرفة يتجه بابها إلى الغرب .

ويفصل بين الرواقين ، وبين الروضة والمحرابين : النبوىّ والسليمانىّ سور صغير من صفر ذى شبك ، وله بابان عن يمين المنبر ويساره .

المحراب النبوى : — هو فى شرقى المنبر ، وما بين المنبر والقبر الشريف هو الروضة وقياسها ٢٢ متراً ، فى عرض ١٥ متراً ، وتزينه الآيات المرقومة بماء الذهب ، وقطع ملونة من الرخام ، وناهيك بجمال العمودين بجوانبه ، فهما من الرخام الأحمر ذى اللون الأثمدىّ ، وفى الجانب الغربى من المحراب مكتوب : هـذا مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشكل بناية هذا المحراب ينبئ على أنه قرين المحراب السليمانىّ فى تاريخ العمارة ، وقد حصل فيه ترميم مدة فخرى باشا .



المسجد النبوى

المنبر : وهو بغربىّ المحراب النبوى ، وبه اثنتا عشرة درجة ثلاث بخارجه وتسع بالداخل ، والمنبر مصنوع من المرمر ، وظاهره مغمور بالتذهيب ، وبالنقوش الفائقة ، وفوقه قبة لطيفة قائمة على أربعة أعمدة رشيقة من المرمر ، وفوق بابه شرفات آية فى الإبداع وإنَّ لماء الذهب لبريقاً حتى لكانّ الصانع فرغ من صنعه بالأمس ، وتاريخ عمارته وإرساله من قبل السلطان مراد هو سنة ٩٩٨ هـ كما تنطق به الأبيات المنقوشة على بابه .

مقصورة المبلغين : — وتسمى « المكبرية » ، وهى أمام المنبر فى شماليه نحو ٥ أمتار ومنها يقيم المبلغون الصلوات ، وهى عبارة عن مربع رخامىّ قائم على ثمانية أعمدة رشيقة ، ستة منها محلاة بصبغ أحمر عقيقىّ اللون ، واثنان أبيضان .

المحراب السليمانىّ : — فى غربىّ المنبر ، وهو على شكل المحراب النبوىّ ، فى البناية والزخرفة تماماً ، وبظهره كتابة تصرح بأنه بنى سنة ٩٣٨ هـ وبانيه السلطان سليمان ، وقد حصل فيه ترميم عمومىّ زمن فخرى باشا .

الحجرة الشريفة : — وتسمى قديماً بالمقصورة . . قال صاحب مرآة الحرمين : « وفى زاوية المسجد الجنوبية الشرقية جزء فصل من

المسجد بسور من النحاس الأصفر[١] طول كل من ضلعيه الجنوبية والشمالية ١٦ متراً ، وكل من الشرقية والغربية ١٥ متراً ، ويقال له المقصورة الشريفة » . ا هـ . وبناء المقصورة الحاليّ من آثار الملك الأشرف قايتباى ، من سورها الخارجى المعروف بالشباك ، إلى قبته الخضراء ، إلى دائرها المخمس ، إلى القبة الداخلية المبنية بحجر أسود وأبيض الكائنة فوق الحجرة النبوية التى فيها القبور الثلاثة الشريفة وقبر سيد الأنام « محمد » عليه الصلاة والسلام ، وقبرا صاحبيه وخليفتيه : أبى « بكر الصديق » و «عمر الفاروق » رضى الله عنهما . فلهذه البنايات المؤلف منها ما يسمى بالمقصورة أو الحجرة ، ما ينوف على أربعة قرون .

وللسور الخارجيّ المعروف بالشباك أربعة أبواب :

١ — باب قبليّ ، يسمى باب التوبة ، وعليه صفيحة فضية مرقوم فيها تاريخ صنعها : سنة ١٠٢٦ هـ

٢ — باب فى الشمال يقال له باب التهجد .

٣ — باب فى الشرق يدعى باب فاطمة .

٤ — باب فى الغرب .

---

(١) لكنه مصبوغ بصبغ أخضر زاه ثابت .

ومُسبلٌ على الشباك ستائر من الأطلس الأخضر ، وكذلك على الدائر المخمس .

وقد حفر الملك العادل نور الدين الشهيد سنة ٥٥٧ هـ خندقاً عميقاً حول الحجرة ، وصب فيه الرصاص ، للحيلولة بين الجسد الشريف ، ومن يريد الوصول إليه .

وقطعتا الألماس المعروفتان بالكوكب الدُّرِّىّ ، اللتان وصفهما إبراهيم باشا رفعت ، فى كتابه « مرآة الحرمين » نقلتا فيما نقل من ذخائر الحجرة ، إلى الاستانة فى زمن الحرب العامة ولم تُعادا إلى الآن سنة ١٣٥٣ هـ .

وبشمال الدائر المخمس ، فى داخل الشباك حجرة فاطمة أو قبرها . وبخلفه محراب يقال له محراب فاطمة .

وما بين الدائر المخمس والشباك مفروش بالمرمر ، وكذلك ما بين جميع أعمدة المسجد ، وما بين باب الرحمة ، وباب النساء ، والأروقة التى بين باب الرحمة ومخزن الزيت بمؤخر المسجد ، والأروقة الواقعة بشرقىّ صحن المسجد .

محراب التهجد — وفى شمال الشباك من الخارج محراب يسمى « محراب التهجد » ، جُدِّد فى عهد السلطان عبد المجيد .

دكة الأغوات — هى بشمال المحراب المذكور ، وهى الصفة التى كان يكون فيها فقراء المهاجرين وهى اليوم عبارة عن دكة طولها ١٢ متراً فى عرض ٨ ، تعلو عن الأرض التى حولها بنحو نصف متر ، وعليها درابزين من الصفر ، وبجانبها إلى الشرق مخزن ، أمامه دكة كانت معدة لجلوس شيخ الحرم النبوىّ .

محراب مشائخ الحرم — هو فى شمال دكة الأغوات بمسافة أربعة أمتار .

الأعمدة — وأغلب الأعمدة ، أحمر اللون ، مكسوّ القواعد بالصفر ، ومنها ٣١ عموداً مكسوة بقطع الرخام الملون إلى انصافها .

الصحن — وللمسجد صحن واسع مفروش بالرمل الأحمر المجلوب له من عرصة العقيق وبناحية الصحن الجنوبية الشرقية بئر ذات فتحة مرخمة ، وما يحيط بالصحن من جدر المسجد أحمر اللون كأغلب عواميده .

مصلى النساء ـ هو فى الرواقين اللذين بشرقىّ الصحن ، وهو عبارة عن قضبان[١] من الخشب دقيقة متلاصقة بتقاطع ، مصبوغة بلون أخضر وأصفر .

مخزن الزيت[٢] ـ فى مؤخر المسجد ، وهو كبير مبلط بالحجارة السود ، وله بابان صغير من الداخل وكبير من الخارج .

مآذن المسجد ـ خمس ، أربع منها شامخة ، وهى : (١) الرئيسية بالجنوب الشرقى من المسجد و (٢) منارة باب السلام بالجنوب الغربىّ منه ، (٣) السليمانية شرقىّ الباب المجيدى و (٤) الشكيلية شماله ، و (٥) منارة باب[٣] الرحمة ، وهى أوطأ من الجميع . وكل المآذن حصل فيها ترميم غير هذه .

أبواب المسجد[٤] خمسة ، كعدة مآذنه . . (١) باب السلام

---

(١) أزيلت هذه فى توسعة المسجد .

(٢) محل المخزن أدخل فى توسعة المسجد السعودية .

(٣) محل المنارة أدخل فى رحبة باب الرحمة .

(٤) زيدت فى توسعة المسجد خمسة أبواب أخرى : باب الصديق بثلاثة أبواب متلاصقة بين باب السلام وباب الرحمة ، وباب سعود فى ثلاثة أبواب متلاصقة فى جهة الغرب للمسجد ، وباب عمر بن الخطاب فى جهته الشمالى الغربى ، وباب عثمان بن عفان فى جهته الشمالى الشرقى ، وباب عبد العزيز فى ثلاثة أبواب متلاصقة فى جهته الشرق .

باب السلام

باب أبو بكر

باب الرحمة

فى الجنوب الغربىّ وكان يسمى باب مروان ، و (٢) باب الرحمة بشماله الغربىّ وكان يقال له : باب عاتكة ، و (٣) باب النساء يقابل باب الرحمة من المشرق، وكان يسمى باب ريطة ، و (٤) باب جبريل بحذاء باب النساء من الجنوب ، و (٥) الباب المجيدى ، بشمالى شرقى المسجد ، ومصراعا كل باب من هذه الأبواب الخمسة فى غاية من الجودة والحسن .

كتاتيبه ــ فى الردهة التى بداخل الباب المجيدى غُرف مجعولة لتعليم الأطفال ، القرآن الكريم ، ومبادىء القراءة العربية على المنهج القديم ، وفوقها غرف مثلها .

ميضآته[1] ــ بابها يقع بجانب مخزن الزيت ، ولها درج يصعد منه إليها .

الخزائن ــ ويشرقىّ المسجد من باب المأذنة الرئيسية إلى الباب المجيدى ٣٦ خزانة و بناحيته الغربية من باب السلام إلى باب الرحمة ٨ خزائن كبيرة ، بينها خوخة أبى بكر رضى الله عنه .

جدران المسجد ــ هى بصفة عمومية ، مبنية من الحجر الأسود المنحوت

(١) محل هذه الميضآت أدخل فى توسعة المسجد السعودية .

المطابق ، وهى فى غاية المتانة ، وسمكها نحو ٣ أمتار ، وكلها مطلية بالجير داخلاً وخارجاً ، مع ملاحظة ما بداخلها من النقوش . الثريات والقناديل — وبالمسجد ثريات كبيرة ، أعظمها اللتان فى السقف الجنوبى للصحن ، وفيه قناديل كثيرة معلقة فى عوارض حديدية بين الأعمدة .

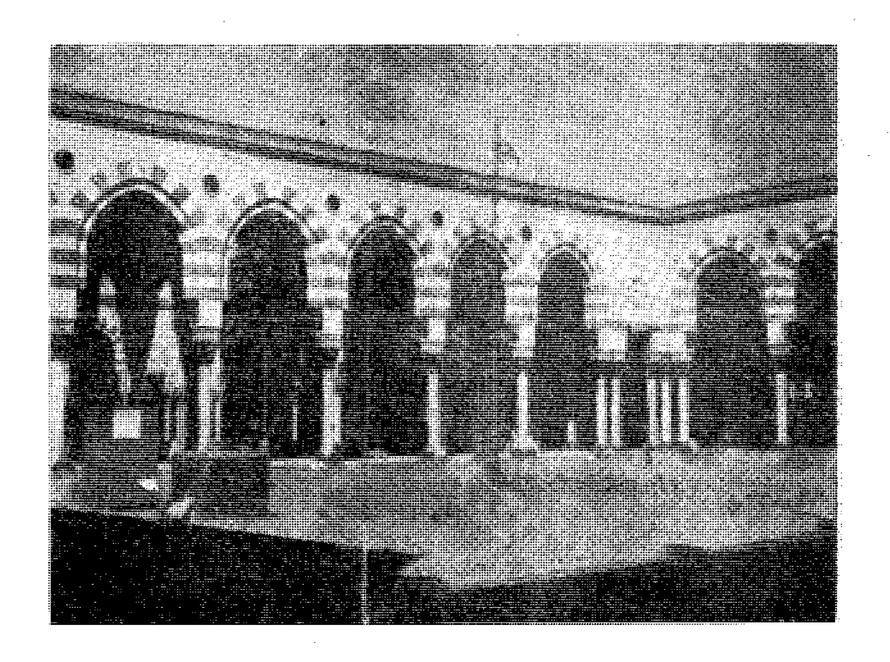
إنارته[١] — كانت إنارته بالزيت والشمع إلى أن بعث السلطان عبد الحميد الثانى ما كنة كهرباء مع جميع تفرعاتها ولوازمها الكهربائية ، ومن ذلك الوقت إلى الآن ، والإنارة جارية بالكهرباء ، وبناءً على قدم الماكنة السابقة قد أهدى الحاج الشاوى المغربى ما كنة جديدة ، وهى المستعملة الآن .

النخلتان — وبجانبي المنبر نخلتا صفر ، مثبتتان فى الأرض ، ولكل منهما جذر وجذع وساق وغصون ، وهما مثمرتان وذواتا أكمام ، ولكن ثمرها قِطَعُ البلّور الأبيض الصافى ، وأكمامها المصابيح الزجاجية الملونة .

فُرشُ المسجد — كان مفروشاً بالسجاجيد التركية المصنوعة فى مصنعها المعروف ب « هرِكه » ولاندثارها اعتنى جلالة الملك عبد العزيز

(١) والإنارة فى زماننا جارية بالكهرباء العمومى فى أبيار على .

آل سعود ملك المملكة العربية السعودية فأحضر للمسجد سجاجيد عجمية ومفارش (زل) واعتنى بفرش المسجد ، وأكمل الباقى بالبُسُطِ المهداة من مسلمى الهند .



الواجهة القبلية من العمارة الحديثة السعودية فى الصحن الشمالى

صنابيره — والصنابير هى (الحنفيات[1]) المعدة للوضوء ، وهى فى خارج

(١) محل الحنفيات أدخل فى توسعة المسجد الحالية .

المسجد بقرب كل من باب السلام وباب الرحمة والباب المجيدى وباب النساء .

مخازنه — أو مستودعاته ، هى المواضع التى تحفظ فيها هداياه و بقايا ترميماته ، وهى سبعة معلومة المواضع .

تاريخ عماراته :

١ — أسس لأول مرة على يد النبى صلى الله عليه وسـ ، فى العام الأول للهجرة ، وكان أساسه بالحجارة ، وجدره من اللَّبِنِ ، وعمده الجذوع ، وسقفه الجريد ، وكانت مساحته نحو ٣٥ متراً من الجنوب إلى الشمال و ٣٠ متراً من الشرق إلى الغرب — عمارة بسيطة مملوءة بروح التواضع والإخلاص ، لا أبهة فيها ولا زخرف .

٢ — زيادة النبى صلى الله عليه وسلم فيه عام ٧ هـ حتى صار مربعاً .

٣ — زيادة عمر بن الخطاب فيه عام ١٧ هـ نحو خمسة أمتار فى الجنوب و ١٠ فى الغرب و ١٥ فى الشمال .

٤ — تجديد عثمان بن عفان له عام ٢٩هـ بالحجارة والجص والعمد المحشوة بالحديد ، وتسقيفه له بالساج ، وزيادته رواقاً فى الشرق والغرب والشمال والجنوب وهى منتهى الزيادات جنوبى المسجد للآن . وقد كان جعل له ستة

أبواب سُدَّ منها اثنان ، والأربعة الموجودة هى من ذلك التاريخ . أما الباب المجيدى فحدث ، كما سيأتى بيانه .

٥ — تجديد الوليد ، بدىء به عام ٨٨ هـ ، وانتهى عام ٩١ هـ وزاد فيه قليلا من الغرب والشرق ، وأدخل حُجَر أمهات المؤمنين فى المسجد وأقام الدائر المخمس على الحجرة وعمره بالحجارة المطابقة والجص والعمد ، ونقش جدرانه بالفسيفساء والمرمر ، وسقفه بالساج وذهبه .

٦ — زيادة المهدى الشمالية التى هى آخر زيادة فيه من هذه الجهة ، بدأت عام ١٦١ هـ وتمّت عام ١٦٥ .

٧ — تجديد المستعصم له بعد الاحتراق ، ابتدأ سنة ٦٥٥ هـ وانتهى فى عهد الظاهر بيبرس البندقدارى .

٨ — تجديد الملك الناصر محمد بن قلاوون لسقفه شرقى رحبته وغربيها ، وزيادته رواقين فى المسقف الجنوبى مما يلى الرحبة عام ٧٠٥ و ٧٠٦ هـ و ٧٢٩ هـ .

٩ — تجديد الرواقين المذكورين آنفاً فى عهـد الأشرف برسباى عام ٨٣١ هـ .

١٠ — تجديد الظاهر جقمق لسقف الروضة ، وسقوف أخرى عام ٨٥٣ هـ .

١١ — عمارة قايتباى سنة ٨٧٩ هـ .

١٢ — عمارته العظمى المنتهية فى أواخر القرن التاسع .

١٣ — تجديد السلطان سليمان لكامل الجدار الغربى من حذاء باب الرحمة إلى المنارة السليمانية سنة ٩٧٤ هـ كما هو منقوش بعلو الجدار المذكور من الداخل قرب باب الرحمة ، وكذلك بناؤه المحراب السليمانى عام ٩٣٨ هـ والمحراب النبوى على ما يبدو من هيئته .

١٤ — عمارة السلطان سليم الثانى سنة ٩٨٠هـ .

١٥ — عمل السلطان محمود قبة على القبر الشريف ودهنها باللون الأخضر الذى لا تزال تصبغ به إلى اليوم ، وذلك عام ١٢٣٣ هـ و ١٢٥٥ هـ .

١٦ — عمارة السلطان عبد المجيد الكبرى ، بدأت عام ١٢٦٥ هـ وانتهت فى عام ١٢٧٧ هـ فلها الآن ٧٦ سنة ، وفى هذه العمارة فُتح الباب المجيدى ، وسمى باسم فاتحه .

١٧ — ترميم فخرى باشا للمحرابين : النبوىّ والسليمانىّ ، وترميم البئر التى فى صحن المسجد عام ١٣٣٦ هـ .

١٧ — ترميم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملـكة العربية السعودية لأرض المسـجد مما يلى رحبته فى الجهات الأربع عام ١٣٤٨ هـ ووضعه أطواقاً حديدية على بعض الأساطين التى حدث فيها انشقاق بغرب الرحبة وشرقها سنة ١٣٥٠ هـ .

١٩ — تعمير الحـكومة المصريه الحالىّ الذى نخط هذه السطور والعمل مستمر فيه .(١)

و بإلقاء نظرة بسيطة على هذه العمارات التى حدثت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم لمسجده ندرك مبلغ عناية المسلمين وولاتهم به .

(١) الواقع ان هذه التوسعه لسعوديه الاولى عام ١٣٧٣ هـ

(٤)

مسجد المصلى ، أو مسجد الغمامة

موقعه وصفته : هل كان مسجد مبنياً فى عهد الرسول . متى اتخذ المصلى مسجداً مبنياً . إقامة صلاة العيدين فيه . عماراته .

موقعه وصفته : — يقوم هـذا المسجد فى جنوب غرب المناخة ، وهو اليوم مبنى بناء متقناً بالحجارة المطابقة ، ومجصص من داخله وخارجه ، وذو قباب ست شامخة عَلَى عقود تحتها أعمدة بيضاء نقية . و به رواقان . و بركنه الشمالىّ الغربىّ مأذنة قصيرة ، و بداخله محراب ومنبر ا و بقرب جداره الشمالى مقصورة المبلغين ، و بخلفه مكان مقبب ذوشباك خشبىّ هو الآن « كُتّابٌ » لاقراء الصبيان على الأسلوب العتيق .

وطول المسجد ٢٦ متراً وعرضه ١٣ متراً وارتفاعه ١٢ متراً وسمك جدرانه متر ونصف متر .

هل كان مبنياً فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ؟ : — تجيب التواريخ

عن هذا السؤال بالسلب . . فصلاته ، صلى الله عليه وسلم ، العيدين إنما كانت في فضاء هذه المناخة التي عرفت بالمصلى لذلك ، وكان ذلك من غير تخصيص بقعة ، وأخيراً التزم الرسول الصلاة في موضع هذا المسجد حتى لاقى ربه .

متى اتخذ المصلى مسجداً مبنياً ؟ : — الوصول إلى مبدإ اتخاذه مسجداً مبنياً لا يخلو من عسر وما لدينا من المراجع لم ينوه عن هـذا ، غير أنه يفهمُ من فحوى ما رواه السمهودي نقلاً عن ابن شبة عن أبي غسان الكناني أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس : أن المصلى كان مبنياً بصفة مسجد في القرن الثاني الهجري .

إقامة صـلاة العيدين فيه : — استمرت إقامتها فيه إلى أواخر القرن التاسع ، ثم لا ندري هل ظلت بعـد ذلك تقام فيه أم نقلت عنه ؟ . وقد أدركناها تقام في المسجد النبوي ، ولا نعلم البواعث التي حملت على هذا إلا أن تكون اتساع المسـجد النبوي اتساعا كافياً لصلاة أهل البلدة به جميعاً ، وضيق أطراف المصلى بالمباني والعشش والدكاكين وغير ذلك .

عمـاراته : — لا ندري من تفصيلها من بدء بنـايته حتى القرن

التاسع . وفى الثامن عمره السلطان حسن حفيد قلاوون ، وفى التاسع جده الأبر برديك ، وفى الرابع عشر السلطان عبد الحميد الثانى ، ولا تزال عمارته لليوم[1] .

****

---

(١) منقوش فى لوح خشبى مستطيل معلق على جدار المسجد القبلى من الداخل ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله الآية . اللهم شفع النبى فى مجدده السلطان عبد الحميد خان عز نصره » ا هـ .

(٥)

مسجد الفتح

موقعه ووصفه . نبذة من تاريخه . عماراته
مسافة بعده عن المدينة . طريقه منها

موقعه ووصفه : — مسجد الفتح كائن على قطعة من جبل سلع في ناحيته الغربية ، وهو يشرف على مجرى سيل بطحان ، وحوالى المسجد عرصة كان أهل المدينة ، بعهد الدولة العثمانية ، اعتادوا الخروج إليها فى بعض الأحيان ، وينصبون بها خيامهم ، ويستعرضون الفِرَق المسماة بالوجاقات . . كل فرقة لها موضع معلوم ، تُجرِى فيه الألعاب الرياضية والتمرينات الحربية . . وقد بطلت هذه العادة منذ نحو ٣٠ عاماً .

ومسجد الفتح من المساجد المبنية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبناؤه الحاضر بالحجارة والجير ، وله دعامة واحدة فى جنوبه لتقويته وإسناده ، وأمامه رحبة مسورة بجدار قصير ؛ وهو مقبب ، طوله ٨ أمتار وعرضه ٣ وارتفاعه نحوه ، ويصعد إليه الإنسان من مرتقى ، يوصله إلى درج عدته ١٢ درجة .

نبذة من تاريخه : — روى الإمام أحمد فى مسنده : أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا فى مسجد الفتح ثلاث مرات ، وفى الثالثة استجيب له فعرف البشر فى وجهه .

والأحاديث المروية فى هذا الصدد تصرح بأن دعاءه عليه الصلاة والسلام بهـذا المسجد كان على الأحزاب فى غزوة الخندق . . ولمـا فتح الله به على المسلمين من تفرق الأحزاب وعودتهم ، سمى المسجد بمسجد الفتح .

وممـا يحسن بنا الإشارة إليه المساجـد الخمسة الموجودة بجنوب مسجد الفتح . . ففيها يقول السمهودى : « وما ذكره المطرىّ من نسبة المسجدين المذكورين لسلمان [1] وعلى رضى الله عنهما شائع على ألسنة الناس ، ويزعمون أن الثالث الذى ذكر المطرى أنه لم يبق له أثر : مسجد أبى بكر رضى الله عنه . . . ولم أقف فى ذلك كله على أصل » اهـ .

---

(١) مسجد سلمان أقرب المساجد إلى مسجد الفتح ، وفى أعلى محرابه لليوم حجر المسن الذى نوه به السمهودى وقال إن فيه تاريخ عمـارة ابن أبى الهيجاء له عام ٥٧٧ هـ وهذا يدل على أنه باق على بناية الحسين المذكور له . وفى الحق إن شكل بنائه يخالف ماعداه من هذه المساجد بما فيها مسجد الفتح . . فـكلها مقببة أما هو فسنم ، ذو أعمدة قوية قصيرة ، منظرها يشهد بقدم بنائه وقوته .

وتسمى النخيل الواقعة شمال مسجد الفتح قديماً بالسيحى أو السيح .

عماراته : — كيفية عمارته الأولى غامضة ، ونرجح أنها كانت بالحجارة واللبن والجريد ، وقد جدده الحسين بن أبى الهيجاء عام ٥٧٥ هـ . وجددته الدولة العثمانية بعد ذلك بدليل حجر المسن المرسوم عليه تجديد ابن أبى الهيجاء له الواقع بأعلى قبته على ما ذكره السمهودى ، غير موجود اليوم .

ويبعد مسجد الفتح عن باب البرابيخ بالمدينة نحو ٢٠ دقيقة . وطريقه الأقرب منها ، يبتدئ من هذا الباب — فمجرى بطحان — فالمسجد .

(٦)

مسجد ذباب

ذباب ، أو ذو باب — الجبل الصغير الأسود الذى يواجهك حينما تهبط من ثنية الوداع قاصداً جبل أُحُد ، على يسار طريق أُحد والمسجد الذى فوق هذا الجبل مأثور . . روى السمهودى عن ابن شبة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، صلى فى موضعه . . وقد ضرب الرسول قبة تركية على هذا الجبل فى غزوة الخندق .

كان هذا المسجد مبنياً بالحجارة المطابقة فى القرن الثامن . وحالته كذلك اليوم . وهو مجصص ظاهراً و باطناً ، وطوله ٤ أمتار فى عرض ٤ وارتفاعه ٦ وقبته متقنة البناء والتجويف .

(٧)

مسجد القبلتين

موقعه ووصفه . نبذة من تاريخه .
مسافة بعده عن المدينه وطريقه منها

موقعه ووصفه : — مسجد القبلتين على هضبة مرتفعة ، من حرة الوبرة فى طرفها الشمالىّ الغربى ، بالنسبة للمدينة ، وهو يشرف على عرصتى وادى العقيق : الصغرى والكبرى .

والمسجد فى هيئته الحاضرة منقسم إلى شطرين : داخلىٌ وخارجىّ . . وفى الداخلىّ محراب متجه إلى الكعبة ، وفى الخارجى محراب متجه نحو الشام ؛ والداخلى مقبب طوله ٩ أمتار و ٢٠ سنتيمتراً ، وعرضه ٤ أمتار و ٥٠ سنتيمترا ، وارتفاعه نحو ٤ أمتار ونصف متر . وكلا القسمين مبنى بالحجارة المنحوتة والجص ، داخلاً وخارجا ، مما يدلنا على أنه من آثار بنى عثمان .

نبذة من تاريخه : — صلى النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا

المسجد إلى بيت المقدس ، وفيه أُمِر بالتحول إلى الكعبة ، وقد كان هذا التحول مظهر استقلال عظيم للمسلمين ، أشعل فى قلوب اليهود ناراً حامية من الحقد الدفين ، والحسد الكمين . فتقاولوا فيما بينهم : « ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » . . فرد عليهم العليم الحكيم بقوله : « قل لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » .

هذا ولما ذكرناه من تحول القبلة فى هذا المسجد ، سمى بمسجد القبلتين ، وهو اسم لا يزال يحمله إلى اليوم .

ويظهر من قول صاحب وفاء الوفا : أن الرسول لما استدار إلى الكعبة فيه استقبل الميزاب . أن المسجد كان مبنياً مسقفاً فى ذلك الحين ، لأن الميزاب لا يكون إلا فى الابنية ذات السقوف ولا نعلم عن تجديداته شيئاً بعد ذلك سوى أن شاهين الجمالى عمره سنة ٨٩٣ ﻫ ويحتمل أن بناءه باق حتى جاء السلطان سليمان فجدده عام ٩٥٠ ﻫ . ولا يزال بناؤه باقياً إلى اليوم كما هو منقوش على الحجر الرخامى الموضوع فوق مدخل المسجد .

مسافة بعده عن المدينة وطريقه منها : ـ يبعد عن المدينة نحو

٤٠ دقيقة ، وله طريقان منهـا ، أحدهما ، وهو الأقرب ، يبتدئ من باب البرابيخ ، فغربى سفح سلع ، فالحرة الغربية فالمسجد .
والطريق الثانى يبتدئ من الباب الشامى — فشرقى سلع — فغربى سفحه الشمالى فطريق بئر رومه — فميل إلى الجنوب بغرب — فالمسجد .

◆/◆/◆/◆/◆/

(٨)

مسجد بني ظفر

موقعه ووصفه . حجر الرخام به . جهته بالنسبة للمدينة ومسافة بعده عنها . وطريقه منها . نبذة من تاريخه .

موقعه ووصفه : ـ هذا المسجد مأثور ، وأطلاله باقية إلى اليوم ، ويقع بطرف حرة واقم (الحرة الشرقية) فوق هضبة ، طوله ٣ أمتار و ٧٠ سنتيمتراً فى عرض . ٧٠و٣

حجر الرخام الذى به : ـ ومن محاسن المصادفات ما أورده السمهودى من أنه رأى حجر رخام عن يمين محراب المسجد ، منقوشاً عليه ما صورته : « خلد الله ملك الإمام أبى جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين عمر سنة ثلاثين وستماية » ا ه . . فإن هذا الحجر نفسه قد رأيته أنا أيضاً ، ولـكنه ليس على يمين محرابه ، بل مدمج فى حجارة بنايته ، وهذا يؤكد لنا أن المسجد عمر بعد عمارة المستنصر له .

جهته بالنسبة للمدينة و بعده عنها وطريقه منهـا ـ سبق أن

ذكرنا أنه يقع بطرف حرة واقم ، فهو إذاً فى شرق المدينة ويبعد عنها اعتباراً من باب الجمعة (باب البقيع) نحو ١٥ دقيقة .

أما طريقه منها ، فمن هذا الباب فضريح فاطمة بنت أسد ، فبستان معاوية ، فعرصته . بعـــده يتجه السالك فيها نحو الجهة الشرقية بجنوب — فالمسجد .

نبذة من تاريخه : — روى السمهودى عن الطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بنى ظفر فى مسجدهم هـذا فجلس على الصخرة التى فيه اليوم (يومئذ) ومعه بعض الصحابة وأمر قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية : « فـكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » فبكى الرسول حتى اضطرب لحياه ، فقال : أى رب ! شهيد على من أنا بين ظهرانيه فـكيف بمن لم أر ! .

~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~

(٩)

مسجد السقيا

هذا المسجد بقرب بئر السقيا ، بطرف حرة الوبرة الموالى للمدينة . وفيه يقول صاحب مرآة الحرمين : « مسجد السقيا » .

السقيا بئر بحرة المدينة الغربية ، وهـذا المسجد عندها ومكانه الآن قبة شهيرة تسمى بقبة الروس (١) عند باب العنبرية » اهـ . والتحقيق ان مسجد السقيا ، أو قبة الروس ، بداخل بناية محطة السكة الحديدية ، فى جنوب هذه البناية والبئر بجنوبها ، ويفصل بينهم طريق مكة .

وقد صلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بموضع هذا المسجد ، ودعا فيه بالبركة لأهل المدينة وفيه نطق بأن المدينة حرم كحرم مكة .

وقد كان هذا المسجد مندرساً غير معروف حتى اكتشفه السمهودى إذ وجده على بنايته العمرية القديمة ، فأعيد بناؤه من جديد ، ثم اندرس بعد ذلك ، و بنيت بموضعه قبة الروس

(١) دفن بها بعض قتلى الأعراب ، فى عهد حكومة الأتراك . ويراها الإنسان بعد أن يخرج من باب العنبرية إلى طريق مكة بداخل محطة السكة الحديدية .

(١٠)

مسجد الإجابة

أو مسجد بنى معاوية

يقع هذا المسجد فى ضاحية المدينة الشرقية ، شمالىّ البقيع ، فى وسط العرصة المقابلة (شمالا) لبستان السمان ، والمسجد مرتفع عما حواليه ، وهو اليوم خرب ، وأمامه بئر ذات درج ، وهى اليوم يابسة .

والمسجد مبنى بالحجارة و بالجير على صفة بنايات الدولة العثمانية ، وطوله ١٠ أمتار فى عرض ٨ ، وفيه محراب ، وكان ذا قبة . ويفهم من قول ابن النجار أنه يعرف بمسجد الإجابة : أن هذا الاسم حادث له . أما اسمه الأصلى الوارد فى الحديث فهو مسجد بنى معاوية . و بنو معاوية من الأوس .

فى صحيح مسلم ما ملخصه . أن النبي دعا ربه فى هذا المسجد وطلب ثلاثاً فأجاب دعوتين هما : عدم إهلاك أمته بالغرق ، ولا بالسَنّة ، ومنعه الثالثة

وهى : أن لا يجعل بأسهم بينهم قال السمهودى عقب إيراده للحديث المشار إليه : « فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الإجابة » .

وقد ذكر السمهوى أنه يقع « على يسار السالك إلى العريض وسط تلول هى آثار قرية بنى معاوية » اه .

وهذان الوصفان منطبقان تماماً على المسجد القائم بوسط العرصة المذكورة آنفاً ، فهو واقف وسط تلول تـكتنفه من نواحيه الشمالية والجنوبية والغربية .. أما الشرقية فيها الطريق السالـكة إلى العريض .

◆/◆/◆/◆/◆/◆

(١١)

مسجد البحير ، أو مسجد السجدة (١)

وضعت هذا الاسم للمسجد الآتى وصفه ، تعريفا له ، لأنه مأثور على مانص عليه المطرى والسمهودى .

مسجد البحير صغير جدا ، وهو على صغره مربع ، فطوله ٤ أمتار فى عرض ٤ ، وارتفاع جدره متر واحد ، وهو مبنى بالحجارة المنحوتة وغير المنحوتة ، وهو مكشوف ، ويقول السمهودى إنه : « عند النخيل المعروف بالبحير » . أما تحرير موقعه بالنظر للحالة الحاضرة فهو أنه فى وسط العرصة الكائنة بين البستان المعروف اليوم بالبحيرى و بين البساتين المعروفة بالصدقة ويكتنفه من الجنوب والشمال طريقان موصلان إلى العريض .

و بستان البحيرى المشار إليه آنفا يقع فى غرب هذا المسجد ، و بينهما ثلاث دقائق ، وقد روى البيهقىّ فى شعب الإيمان حديثاً ، فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، صلى ركعتين فى موضع هذا المسجد ، وسجد فيه سجدة طويلة جداً ؛ وملاحظة لهذه السجدة الطويلة أطلقنا عليه اسم مسجد السجدة .

---

(١) يسمى بعض الناس هذا المسجد فى هذه الأيام بمسجد أبى ذر ، والمؤرخون لا يقرون هذه التسمية وهى تسمية خاطئة ، والصواب ما جاء هنا والله أعلم ، وقد جدد بناؤه هذه السنة .

(١٣)

مسجد الفضيخ ، أو مسجد الشمس

وصفه وموقعه ، طريقه ، نبذة من تاريخه

يقع هذا المسجد فى شرق قرية العوالى ، قريباً من الحرة الشرقية ، وهو لا يزال معروفا بهذا الاسم بين أهل هذه القرية ، و بناؤه متين مرتفع ، وطول المسقف منه ١٩ متراً فى عرض ٤ وله ٥ قباب ومحراب لا بأس به ، بجانبه منبر ذو درجتين مكون من حجارة وطين حلو ، وللمسجد شرفات ، و بناؤه بالحجارة المطابقة و بالجص ، وشكل هذه البناية ناطق بأنها من آثار بنى عثمان .

ولارتفاع موقع المسجد وطلوع الشمس عليه أول شروقها ، سمى بمسجد الشمس .

أما سبب تسميته بمسجد الفضيخ فلاهراق سقاء الفضيخ (خمر التمر) به حين بلغ أبا أيوب فى نفر من الأنصار خبر تحريم الخمر .

ومسجد الفضيخ مأثور لصلاة النبى صلى الله عليه وسلم بموضعه ست ليال فى أثناء حصاره لبنى النضير .

والطريق الموصل إليه من المدينة : — طريق العولى — فزقاق مشرق — فالتواء إلى ناحية الشمال الشرقى — فالمسجد .

قسم البلاطات

البلاطات

تمهيد :

البلاط لغة : الأرض المفروشة بالحجارة . . وقد بُلِّطَتْ أربع الجهات المتصلة بالمسجد النبوى فى زمن إمارة مروان بن الحكم لمعاوية على المدينة . . وهذه البلاطات ذات فوائد هامة . . فهى تصد عادية الأمطار عن المسجد النبوى ، وتحجبه عن الغبار ، وفيها علاوة على ذلك مظهر من مظاهر التمدن ، وكان المأمول أن يعم البلاط نواحى المدينة وشوارعها بعد ذلك تمشياً مع سنن العمران ومقتضيات الحضارة ؛ ولكن المشروع وقف عند الحد الذى رسمه مروان ، حتى جاء رضا باشا الركابى محافظاً للمدينة عام ١٣٢٧ هـ فأزمع تبليط رصيفين فى شارع العنبرية . وبالفعل بلّط منهما قسما هاماً .. وحال عَزْلُه دون إكمال مرامه .

وبودنا لو اهتمت بلدية المدينة بإتمام هذا البلاط وغَرْسِ الأشجار بأطرافه ، إذاً لكانت سجلت لنفسها حسنة عظيمة فى تاريخ عمران المدينة وتنظيمها ، خصوصاً أن هذا الشارع هو الذى يسلكه الزوار قبل كل شيء .

كذلك قام البوقرى بتبليط العرصة الواقعة أمام مركز لجنة العين الزرقاء وذهب به إلى نصف شارع العينى ، فلو أتمه أو أتمته البلدية لكان له أو لها مفخرة ؛ خصوصاً أن هذا الشارع سيئول إليه العمل إن قريباً أو بعيداً ، وهو فضلا عن هذا متصل بالمسجد النبوى .

وفيما يلى وصف البلاطات الثلاث القديمة :

(١)

البلاط الشرقى

هذا البلاط أنشأه مروان بن الحكم بأمر معاوية بن أبى سفيان ، وهو ذو شعبتين : جنوبية وشمالية . وتمتد الجنوبية من طرف المسجد النبوى داخلة فى زقاق الحبشة ، وتنتهى عند العطفة الكائنة بعد القسم الشرقى من دار عثمان الكبرى ، المتخذ اليوم داراً لمشيخة الحرم النبوى ، وتمتد الشعبة الشمالية من باب النساء وتذهب مشرقة فى زقاق البقيع المعروف بطريق البقيع ، وطريق الحارة ، وتنتهى عند العطفة التى بعد رباط سيدنا عثمان الواقع فى موضع داره الصغرى .

هذا الوصف وهذا التحديد قد أوردهما السمهودى لهذا البلاط . . ونحن بأدنى تتبع : ندرك أنهما مطابقان لهيئة البلاط المبحوث عنه ، فهل والحالة هذه ، أن هذا البلاط هو عين السابق استطاع الخلود مدى ثلاثة عشر قرناً بفضل جودة وضعه ، ثم بما يعمل فيه من اصطلاحات ؟ أم هو بلاط جديد وضع فوق القديم الذى صار مكبوساً تحته ؟

رأينا يميل إلى تأييد الشطر الأول ، لما يأتى : —

١ — إن حجارته متآكلة ، يبدو على هيا كلها القدم .

٢ — إن مجارى العين الزرقاء ، وهى من آثار ذلك العهد ما تزال موجودة خالدة بفضل الإصلاحات والترميات .

٣ — إن فى استثناء السمهودى لما حول المسجد النبوى من البلاط ، من الانطار بالكبس — لدليلاً على كون هذا البلاط هو القديم .

٤ — لما هو ملاحظ إجماليًّا من قدم عمارات وشوارع وأبنية حارة الأغوات التى فيها هذا البلاط ولما هو مشاهد من انخفاضه حتى عن بقية شوارع الحارة وأزقتها — يتأكد لدينا قدمه وأنه هو بلاط مروان ابن الحكم .

---

(٢)

البلاط الشمالى

بعد إجهاد القريحة فهمت من عبارات وفاء الوفا المضطربة أن البلاط الشمالى الذى أنشأه مروان حول ناحية من نواحى المسجد ، هو هذا البلاط الممتد من خارج باب الرحمة ، الواقع فيما بين جدار المسجد النبوىّ و بين

الدور التى بجانبه الغربىّ . . وينتهى هذا البلاط عند حد زاوية المسجد الشمالية ، وبطرفه كان يقع أطم حسان بن ثابت الأنصارى (فارع) الذى يقول فيه :ــ

أرقت لتوماض البروق اللوامع ونحن نشاوى بين سلع وفارع

وبجانب البلاط كذلك الدار المعروفة من قديم بدار تميم الدارى ، وعن تسميتها بهــذا الاسم يقول السمهودى : « ولم أقف على أصل تسميتها بذلك » وهى الآن مهدومة العلو ، وعلى ما بقى منهـا حجر منقوش فيه : « هذا بيت سيدنا تميم الدارى رضى الله عنــه سنة ١٢٨٠ » .

ومما يحسن إيراده أن هذه الدار كانت سكن السيد عبد الله السمهودى مؤرخ المدينة فى القرن التاسع الهجرى ، وكانت آلت إلى ملـكه على ما أفاد ؛ وقد حدَّثَنا بأنها كانت فى الأصل قسماً من دار سكينة بنت الحسين ابن على رضى الله عنهم .

وكذلك البلاط الممتد من طرف زاوية المسجد النبوى الشمالية والمـار من الباب المجيدى والمنعطف بعدئذ إلى جهة باب النساء هو قديم أنشأه مروان على ما ذكره ابن شبة ، وقد كان موجوداً فى أواخر القرن السادس

حيث يقول ابن جبير فى رحلته : « المسجد المبارك مستطيل وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به » .

والبلاط الممتد من باب الرحمة الذاهب إلى الغرب والمنعطف إلى محلة الساحة قديم أيضاً ، وقد ذكر السمهودى أنه كان ممتداً فى زمنه إلى ضريح مالك بن سنان رضى الله عنه . أما اليوم فينتهى إلى حوش الجمال وكأن الباقى علاه الكبس ، أو اقتلعت حجارته لأسباب مجهولة .

(٣)
البلاط الأعظم بسوق الحدرة

يرجع تاريخ تبليط هذا الطريق إلى عهد إمارة مروان أيضاً ويبتدئ بلاطه من باب السلام فإذا حاذى منهل العين الزرقاء بغرب هذا الباب انقسم إلى شعبتين . شعبة تنعطف إلى الشمال حتى لتصل ببلاط باب الرحمة ـ الساحة ، والشعبة الثانية تذهب ، من جنوبي المنهل المذكور إلى الغرب رأساً ، مصعدة من تعاريج بسيطة حتى تنتهي عند الباب المصري الذي هو (على ما نرى) باب سويقة الموصل إلى باب مصلى الأعياد (المناخة) . . وإذاً فكما أصاب هذا الباب تجديد في البناء ، أصابه تجديد في الاسم . . كان المحمل المصري يدخل منه فجدد له الناس إذ ذاك هذا الاسم جرياً على المعتاد من نسبة الأمكنة إلى ماله علاقة بها قوية بارزة حديثة[١] .

وكان هذا البلاط (على ما يفهم من فحوى أقوال المؤرخين)

---

(١) من هذا القبيل مارواه السمهودي من أن مروان لما عزم على تبليط بقيع الزبير ضمن بلاطات أطراف المسجد النبوي منعه الزبير وقال : « تريد أن تنسخ اسم الزبير ويقال بلاط معاوية » .

عبارة عن طريق يمر منها الناس إلى سوق المدينة بالمناخة ، ولا ندرى متى جعلت فيه هذه السوق المسماة بسوق الحدرة ، وسوق باب السلام ؟

وبمنتصف هذا البلاط ، مقعد بنى حسين ويعرف قديماً بمقعد الأشراف ، أما دورهم فقد كانت بمحلة الساحة .

وبجنوب هذا البلاط زقاق يوصل إلى المكان المقول بكونه سقيفة بنى ساعدة ، ويوصل إليه أيضاً زقاق مقعد بنى حسين نفسه .

وكانت تطيف بالبلاط الأعظم دور كثير من الصحابة ، كدارى سعد بن أبى وقاص ، ودار عثمان بن عفان ، ودار أبى هريرة ، رضى الله عنهم .

وفيه يقول السمهودى : « وقد علا الكبس على كثير من البلاط ، ولم يبق ظاهراً منه إلا ما حول المسجد النبوى وشىء من جهة بيوت الأشراف ولاة المدينة » اهـ

إذاً فهذا البلاط مستحدث بعد ذلك .

قسم الأمكنة

الأمكنة

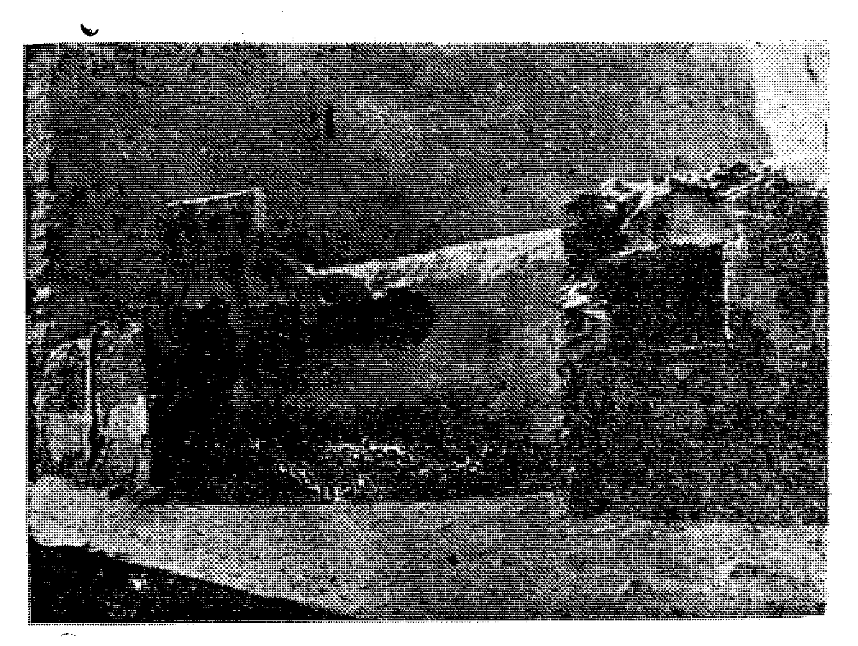
تمهيد :

أتينا فى هـذا القسم ، بمتفرقة الأمكنة الأثرية وابتدأنا بسقيفة بنى ساعدة ، لأهميتها الدينية والتاريخية معاً :—

(١)

سقيفة بنى ساعدة

لا نعلم متى بنيت هذه السقيفة ، وغاية علمنا عنها أنها لبنى ساعدة ، وأن النبي جلس فيها ، وأن بيعة أبي بكر بالخلافة كانت فيها .



سقيفة بنى ساعدة

وقد اختلف فى موضعها . فمن المؤرخين من يقول : إنها بداخل

المدينة جنوبى مقعد بنى حسين ، ومنهم من يرى أنها بخارج سور المدينة قريباً من بئر بضاعة . . اختلاف قديم جرى فى جوهر أثر تاريخىّ هام .

وشايع السمهودى ، أولًا ، رأى القائلين بأنها داخل المدينة جنوبىّ بنى حسين ، ثم رجع عن هذا الرأى جازماً بأنها قرب بئر بضاعة .

ونرى أن رأى السمهودى الأخير هو الصواب للنقاط الآتية : —

١ — أنه ثقة وعالم ومطلع ومشاهد .

٢ — كان رجوعه إلى هذا الرأى بناءً على دليل علمىّ قوىّ أدلى به فى الجزء الثانى من وفاء الوفا ص ٦١ .

٣ — تصريح المطرى بكون السقيفة بقرب بئر بضاعة .

٤ — يوجد بخارج الباب الشامى فى الطريق المعروف بالسحيمى المتجه شرقاً من الباب الشامى إلى باب بصرى خارج السور وملاصقاً له بناء ذو شرفات مكشوف مجصص وبابه مسدود وبجانبه قبة صغيرة تعرف بشيخ النمل ، والمشهور عن هذا البناء[1] أنه هو سقيفة بنى ساعدة وبنايته الحالية من آثار على باشا سنة ١٠٣٠ هـ ويؤيد أنه السقيفة قربه من بئر بضاعة .

---

(١) محل هذا البناء ذهب فى توسعة شارع السحيمى الحالية .

(٢)

الخندق

مستفيض فى الكتب ذكر قصة احتفار النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه لهذا الخندق الحربىّ عام الأحزاب ؛ وقد كان حفرة من شمال المدينة الشرقى ، إلى غربيها ، وكان حدُّه الشرقى طرفَ حرة واقم ، وحدُّه الغربىُّ ، غربىّ وادى بطحان حيث طرف الحرة الغربية (حرة الوبرة) .

وعلى هذا فالخندق على ما نتخيل ، كان يشكل شبه نصف دائرة ، طرفها الغربىُّ يقع غربىّ مسجد المصلى ، والشرقى عند مبتدأ حرة واقم ، فى الشمال الشرقىّ .

والخندق مطمور اليوم ، فلا يعرف موضعه بالتحقيق ؛ ولأنه من أهم الآثار الإسلامية بهذه البلدة عزمت على اكتشافه علمياً وعملياً . . وأخيراً عثرت على نص صريح من عالم مدنىّ قديم مشاهد ، أقنعنى بضرورة العدول عن محاولة اكتشافه لتعذره . . قال المطرى :

« وقد عفا أثر الخندق اليوم (القرن الثامن الهجرى) ولم يبق منه شيء يعرف إلا ناحيته لأن الوادى وادى بطحان استولى على موضع الخندق ، وصار مسيله فى الخندق » ا هـ . وترى رسمه التقريبى المستند على المعلومات التاريخية بصدده ، فى خريطة المدينة الأثرية .

---

(٣)

ثنية الوداع

الثنية في اللغة : الطريق في الجبل . . وقد اختلف في حقيقة المسمى بثنية الوداع حتى وصل بالبعض إلى أن صرحوا بأنها بمكة[١] . . وانقسم الذين يرون أنها بالمدينة إلى فريقين : فريق يقول إنها المدرج الذى ينزل منه إلى بئر عروة بجنوب غرب المدينة ، وفريق يقول إنها : « المعروفة بذلك فى شامىّ المدينة بين مسجد الراية الذى على ذباب ، ومشهد النفس الزكية ، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع »[٢] — وبهذا الرأى جزم السمهودى ، وقد حاول تفنيد كل رأى خلافه . . على أنا نقول : أما إثباته أن هذه الثنية التى بين هضبتى سلع ، هى ثنية الوداع فذلك مالا نعارضه فيه ، لأنه مقبول ومعقول ، وعليه دلائل علمية متوافرة ، غير أن محاولة ادحاضه وإنكاره لتسمية المدرج بثنية الوداع فيه ما فيه ، خصوصاً وقد تضافرت تصريحات جماعة من العلماء الأعلام قديماً وحديثاً على تسميته

(١) لسان العرب جـ ١٠ ص ٢٦٧ .

(٢) جاءفى تعليقات المرحوم الشيخ ابراهيم فقيه مانصه : «ثنيه الوداع هى الموضع الذى عليه القرن ويقال له اليوم «القرين التحتانى » ويقال له أيضاً كشك يوسف باشا . ويوسف باشا هو الذى نقر الثنية ومهد طريقها فى حدود سنة ١١١٤ هـ » اهـ .

بثنية الوداع أيضاً . . فكما أن أهل المدينة كانوا يودعون المسافر إلى ناحية الشام من الثنية التى بطريق الشام ، فكذلك لهم أن يودعوا المسافر إلى جهة مكة من الثنية بطريق مكة ، ويحق لكل من الثنيتين بهذا النظر أن تسمى ثنية الوداع ، لقيام المعنى بكل منهما ، واشتراكهما فيه ، فكلتاهما مركز للتوديع[1] .

هذا وإن على الصد (الهضبة) التى بشرقى ثنية الوداع الشامية ، ثكنة عسكرية اليوم ، وهى التى أشار إليها الشيخ إبراهيم فقيه ، وأما صدها الغربى فخالٍ ، وإنما هو مرتاد للمتنزهين فى ساعات الأصائل الجميلة ، لاحتجاب الشمس فى هذه الأوقات من وراء سلع من جهة ، ولإشراف هذا الموقع على المدينة وأكثر ضواحيها وبساتينها وجبالها النائية والقريبة من جهة أخرى .

أما ثنية الوداع التى فى طريق مكة فتشرف على وادى العقيق ، وتحيط بها الحرة من كل جانب .

وإحدى الثنيتين ، هى التى عناها الولائد فى نشيدهن الابتهاجى بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة :

---

(١) يوافقنا العباسى فى تاريخه للمدينة على هذا الرأى .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

والدلائل القوية التى ساقها السمهودى تجعلنا نرجح أن المقصودة هى الثنية الشامية .

ومن الطرائف ما ذكره صاحب مرآة الحرمين من أن ذوات الخدُور أنشدن عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم هذين البيتين :

أشرق البدر علينا واختفت منه البدور
مثل حسنكْ ما رأينا قط يا وجه السرور[1]

فهل خفى على إبراهيم باشا رفعت ما يحمله هذان البيتان من أثقال الركاكة العامية ، فنسبهما إلى عصر كانت تفيض فيه اللغة والشعر بالفصاحة السليقية ذات البهجة والروعة والرواء ؟ أم أنه أوردهما اعتماداً على رواية ملفقة ؟ اللهم لا ندرى أىّ ذلك كان ! ! وعلى كل فالبيتان المذكوران ليسا من منطوق ذلك العهد الزاهر بتاتاً .

(١) مرآة الحرمين جـ ١ ص ٤٦ .

(٤)

سوق المدينة ، أو المناخة

فى وفاء الوفا : « عن عمر بن شبة عن عطاء بن يسار قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل المدينة سوقاً ، أتى سوق بنى قينقاع ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال : هذا سوقكم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج » .[(١)]

والسوق المشار إليها تسمى بالمناخة ، وهى عبارة عن فضاء واسع مستطيل بناحية المدينة الغربية ، تبتدىء حدودها الأصلية من مسجد المصلى إلى قلعة الباب الشامى . وتجد رسمها بالخريطة الأثرية .

وفيها اليوم حوانيت أغلبها مبنى بالحجارة والطوب والنورة ، ولها تقدمات ، وشوارعها منظمة بالنسبة لما كانت عليه فى زمن دولتى بنى عثمان والأشراف ، حيث كانت فى عهد الأولى ضيقة معوجة متداخله . وفى الحرب العامة هدمها فخرى باشا ، لا ندرى لأى

(١) وفاء الوفا ج ١ ص ٥٣٩ .

غرض ؟ فجاءت الحكومة الهاشمية فبنت عليها أكواخاً قوامها صفائح التنك ، وظلت على هذه البناية حتى أوائل عهد الحكومة السعودية فاعيدت إلى ذويها و بنيت بالشكل الحالى . و بهذه السوق أهم المأكولات والمجلوبات من البادية والمبيعات .

و بالمناخة عمارة البلدية ، والشرطة ، وقيادة الهجانة .

---

(٥)

النقا وحاجر

موضعان طالما تغنى بهما الشعراء ، وهما متجاوران متلاصقان ، وكلاهما فى ناحية المدينة الغربية .

يبتدئ النقا من الشاطىء الغربى لمسيل بطحان المعروف اليوم بابى جيدة ، ويذهب النقا مغربا حتى ينتهى عند بئر السقيا الواقعة جنوب محطة السكة الحديدية ، ومن بئر السقيا (حذاء قبة الروس) يبتدىء حاجر إلى نهاية حرة الوبرة غرباً .

ومن الممكن أن الأصل فى تسمية البقعة الأولى بالنقا : نقاوة هوائها وصفاء تربتها من المكدرات كما أنه من المحتمل أن يكون منشأ تسمية الثانية بحاجر : ملاحظة مافيها من الحجارة .

والنقا اليوم معمور بالدور الأنيقة ، والقصور الفخمة ، وناهيك ببناية محطة السكة الحديدية العظيمة ذات الأعمدة الرشيقة ، والعقود البديعة ، والأماكن المسنمة المبنية على الطراز الحديث . وأمام هذه البناية ، فى الجنوب الشرقى ، مسجد فخم ذو قبة شامخة ، ومئذنتان شاهقتان ، إحتمى عن العين بانحرافه عن القبلة قليلا ، وبشرقى هذا

المسجد الشكنة العسكرية العظيمة الرحيبة ، وقدامها التكية المصرية ، ذات البناء الجيد الفخم والمنظر الجميل ، والرحبة الواسعة ، وهناك دور آل جعفر وسوى دور آل جعفر .

ويشق هذه العمارات إلى المحطة ، شارع واسع ، من أجمل شوارع المدينة وأطولها وأعرضها ، ولو نال حظاً من العناية ، فأكمل رصيفاه ، وغرست بجوانبه الأشجار ، ورصف بالحجارة المنحوتة ، أو كبس بهذا الرمل الأحمر ، لجاء آية فى الجمال ، ولمثل للجيل الحاضر ذكريات النقا الماضية حقيقتها وخيالها أروع تمثيل .

ولا غرو أن يستثير منظر النقا وحاجر أخيلة الشعراء ، فهواؤهما عليل ، وجوهما لطيف . وإن الإنسان ليشعر فيهما بنشاط روحى ، وابتهاج قلبى ، ويتلمس باعثاً لذلك ، فلا يجده إلا فى جمالها الطبيعى الجذاب .

(٦)
المنحنى

كنت أقول فى نفسى : إذا كان ما بغربىّ وادى بطحان يسمى بالنقا ، فماذا يسمى ما بشفيره الشرقى إلى مسجد المصلى ؟ كنت أورد هـــذا السؤال على نفسى فلا أجد له جواباً ؛ حتى عثرت عفواً . وأقول : عفواً لأن هذا القول هو عين الحقيقه ، فقد عثرت فى وفاء الوفا على أن ما بشرقى وادى بطحان إلى مسجد المصلى يسمى بالمنحنى . وقد أورد السمهودى شاهداً ، أو مثالا على ذلك فى بيتين للشيخ شمس الدين الذهبى هما :

تولى شبابى كأن لم يكن وأقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقا فما بعد هذين إلا المصلى

وأضخم العمارات القائمة بالمنحنى اليوم : دار الحكومة ودار الخريجى التى نكتب هذا والعمارة جارية فيها .

(٧)

سور المدينة (١)

يبتدىء تحصين المدينة الحربى من حادثة احتفار الخندق فى غزوة الأحزاب . أما تسويرها فمن سنة ٢٦٣ هـ حيث بنى محمد الجعدى عليها سوراً فى ذلك الوقت ، وقد جدده جمال الدين الأصفهانى عام ٤٥٠ هـ ، فالملك العادل نور الدين محمود بن زنكى عام ٥٥٨ هـ ، فبعض ملوك الإسلام سنة ٧٥٥ هـ ، وفى القرن التاسع أيضاً . وفى عام ٩٤٦ هـ بنى السلطان سليمان العثمانى سورها الموجود اليوم ، و بناؤه بالحجارة والجص ، وهو محكم البناء للغاية ، سميك للنهاية شامخ جداً ؛ وله الآن من الأبواب : الباب المصرى . الباب الشامى . باب قباء . باب بصرى . الباب المجيدى . باب الجمعة . باب الحمام . الباب الجديد . أما الباب الصغير فقد هدمه فخرى باشا مع ما حوله من السور فى إبان الحرب العالمية .

---

(١) قد أزيل هذا السور فى زماننا ولم يبق منه إلا أجزاء فى بعض المناطق .

(٨)

البقيع

البقيع فى اللغة : الموضع الذى به أصول الشجر المختلفة . والبقيع هو مقبرة المدينة الوحيدة منذ عصر الرسالة إلى اليوم . وفيه ما يقرب من عشرة آلاف صحابىّ ، وفيه من التابعين نافع شيخ الإمام مالك ومن تابعى التابعين مالك .

والبقيع عبارة عن بقعة مستطيلة بشرق المدينة خارج سورها قريبة من باب الجمعة وطولها ١٥٠ متراً فى عرض ١٠٠ وهو مسور من جميع النواحى ، وعلى بابه كتابة تدل على أن هذا التسوير من آثار دولة بنى عثمان .

(٩)

يثرب

يثرب اسم كان يطلق فى الجاهلية على عموم المدينة ، ومنه قوله تعالى حكاية عن المنافقين « يا أهل يثرب لا مُقام لكم » على أن حقيقة المسمى به هو إحدى قرى المدينة وأكبرها . وعن ابن عباس أن يثرب فى الأصل كان اسماً لابن عبيل الذى هو أول من نزل المدينة . وبابنه المذكور سميت البلدة يثرب .

أما (يثرب) القرية ، فتمتد على ما حكاه السمهودىّ من طرف وادى قناة شرقاً إلى طرف الجرف غرباً ، ومن زبالة الزج جنوباً إلى البساتين التى كانت تعرف بالمال شمالاً .

والشطران الأخيران من هذا التحديد ، وهما زبالة الزج والمال ، حقيقتهما مجهولة لدينا الآن . ومن باب التقريب والاستنتاج يمكننا أن نقول : إن المال هو بعض بساتين العيون فى الشمال الغربىّ ، وإن زبالة الزج هى قرية من قرى المدينة كانت بشمالى سلع إلى قرب وادى قناة ، اندثرت آثارها فلم تعد معروفة ، وقلنا إنها قرية ، بناء على قول السمهودى عنها : « كان لأهلها اطام » ، وقوله

« وكان بالمدينة فى الجاهلية سوق بزبالة من الناحية التى تدعى يثرب » .

ويشاهد بجوانب البستان المعروف بخيف السيد الذى هو أول قرية أو خيف العيون ، آثارُ بنايات متداعية يشاع أنها أطلال مساكن اليهود الذين كانوا مقيمين بيثرب ؛ وعلى هـذه الاطلال تحاك شتى الروايات والأقاصيص . وتحقيق كونها من بقايا مساكن اليهود يحتاج إلى شواهد عملية ، وتلك هى أجزاء التنقيبات الأثرية فيها لا سيما وقد جاء فى بعض الروايات أن بنى حارثة من الأنصار استوطنوا يثرب بعد نزوح اليهود عنها بمدة مديدة .

(١٠)

زغابة

فى القاموس : « زُغابة بالضم موضع قرب المدينة » . أما تحرير موقعها فهو أنها : آخر العقيق غربىّ قبر حمزة رضى الله عنه » ، وتجدها مرسومة بهذا الوصف فى الخريطة الأثرية .

وبزغابة كان نزول قريش فى غزوة الخندق .

ويصب فيها سيل العقيق ووادى قناة ، وبطحان ؛ وبالجملة هى مجمع سيول المدينة كما هو مذكور فى التواريخ ومشاهد بالعين .

(١١)

الغابة وبركة الزبير

ما كان لنا أن نغفل ذكر الغابة ، وقد ذكرنا يثرب وزغابة . . .

الغابة لغة : الأرض ذات الشجر المتكاثف ، وهذا الوصف ينطبق من جميع الوجوه على الغابة التى بشمالى المدينة ، غربى جبل أحد .

وقد توجهنا فى ظهر يوم من أيام عام ١٣٤٩ هـ . إلى هذه الغابة بقصد الاطلاع والتنزه معاً ، وكنا ممتطين صهوة سيارة كبيرة ، فلما تجاوزنا خيف العيون متجهين إلى الشمال الغربى دخلنا فى أرض رملية ، ألقتنا إلى أرض مسبخة ، ساخت فيها عجلات سيارتنا الكبيرة ، واشتد زفيرها ، كأنما تستغيث بنا من هول هذه الأرض المغرقة ، فنزلنا عنها ودفعناها فتدافعت ، وامتطيناها فما هى إلا بضع دقائق حتى عادت سيرتها الأولى ، فتركناها فى مكانها ، وقلنا لأقدامنا : تقدمى إلى الأمام ! حتى بلغنا حدود الغابة . . . فهالنا منظرها الموحش الكئيب الذى شاهدناه من خلال سوق أشجارها وفروعها ، ودخلناها فى شبه اشمئزاز . . . يسوقنا حب الاطلاع ، ويحدونا حب التنزه . .

أما الاطلاع فلا بأس به ، وأما التنزه فلا تنزه بهذه الأجمة المخيفة ذات الشقوق الهائلة الغائرة فى باطن الأرض التى احتفرتها السيول بقوة تيارها . وقد لاحظنا أنه بأطراف هذه الشقوق تقوم شجيرات الأثل والطرفاء القصيرة الشبيهة فى شكلها الباهت الصامت بالعجائز العابسة الكالحة الوجوه . . . وسرنا فى الغابة متماسكين ومتقاربين ، خوفاً من الضياع ، وبعد أن تعمقنا فيها قليلا شاهدنا آثار وطأة حيوان كبير ، قال بعضنا : إنه أثر سبع ؛ وقال البعض : بل أثر نمر ، وعلى كل فهو داهية دهياء . . . وما كدنا نقارب الجبل الذى بطرفها الشمالى الغربى حتى استوقفنا الدليل ، وحذرنا من تجاوز هذا الموضع قائلا : « فى ذلك المكان — مشيراً إلى موضع من الغابة — غدير لا يخلو من ماء متكدر تحوم حوله أنواع الحيوانات ، وقد يقع فيه السائر من دون قصد فيعسر خروجه لشدة وحله » . . . وعدنا أدراجنا ننفض غبرات التقزز والاشمئزاز ، حتى وصلنا سيارتنا فامتطيناها وعدنا وفى نفوسنا أثر من كآبة منظر الغابة وإيحاشها . . .

نقل السمهودى : « إن الزبير بن العوام كان قد اشتراها بمائة وسبعين ألفاً (لعلها دراهم) وبيعت فى تركته بألف ألف وستمائة ألف »

سبحان الله ! أ كان ما ذكر فى هذه الغابة الموحشة المقفرة من الزرع والنبات والنخيل فى هذا العصر وفيما قبل هـذا العصر ؟ حقاً إن هذه الأماكن كالبشر ، تسعد ثم تشقى ، وتشقى ثم تسعد ، ولا ندرى متى تحف السعادةُ الغابة بعد هذا ؟

و بشرقىّ الغابة قريباً من سفح أُحد الشمالىّ ، بركة مربعة ، فى نهاية الكبر والاتساع . وضخامة البناء وجودته ، مجصصة ظاهراً و باطناً ، وهى مشهورة باسم بركة الزبير إلى اليوم . ولعلها كانت تسقى أراضى الزبير بما فيها الغابة فى عهد ازدهارها .

وطول هـذه البركة ٢٤ متراً و٧٥ سنتيمتراً فى عرض مثله ، وعمقها متر و٢٥ سنتيمتراً ، وسمك جدرانها ٣ أمتار و٧٥ سنتيمتراً ولها ستة مصارف ، و يأتيها الماء من عين الزبير .

ومع ضخامة هذه البركة وخلودها لم يرد لها ذكر فيما اطلعت عليه من تواريخ المدينة .

(١٢)

المهراس ، أو المهاريس

فسل المهراس ما ساكنه بين أفراس وهام كالحجل

عبد الله بن الزبعرى القرشى

« مهراس بالكسر ثم بالسكون : آخره سين مهملة : ماء بجبل أُحد قاله المبرر ، وهو معروف أقصى شعب أُحد ، يجتمع من المطر فى نُقر كبار وصغار هغاك ، والمهراس اسم لتلك النُّقر[١] — روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عطش يوم أُحد فجاءه علىٌّ فى درقته بماء من المهراس ، فوجد له ريحاً فعافه ، وغسل به الدم عن وجهه وصب على رأسه » اھ — هذا ما جاء فى وفاء الوفا فى صدد تعريف المهراس . ونلاحظ عليه أنهما — علاوة على المهاريس الصغيرة — مهراسان لا مهراس واحد ، أحدهما يقع بأقصى شعب أُحد من الجهة الشرقية ، وطريقه يتصل بالطريق الصاعد إلى البناء المعروف اليوم بقبة هارون الواقع فوق قبة أُحد . والمهراس الثانى فى الناحية

(١) ناقش السهيلى فى الروض الأنف ج٢ص١٥٨ هذا الرأى وقال إن المهراس يطلق على كل حجر مقور يمسك الماء ، على أنا نقول : مع صحة استدراكه قد يكون هذا الاسم العام خصص لهذا المهراس الذى بأحد وصار علماً له بالغلبة كالمدينة .

الغربية ، وطريقه وعر يضطر راكبه لتسلق بعض الصخور المرتفعة فيه ؛ ومن قصور تعريفات مؤرخينا القدماء ترانا لا ندري ، أي المهراسين الذي جيء للنبي صلى الله عليه وسلم بالماء منه الشرقي أم الغربيّ ؟ كما أننا نجهل أيهما الذي عناه ابن الزبعرى في بيته المار[١] .

وكلا المهراسين مقيل للمتنزهين اليوم ، لوجود الماء العذب القراح فيهما ، خصوصاً في فصل الشتاء ، لكثرة هطول الأمطار بالمدينة في هذا الفصل ، فتنساب المياه من أعالي هضاب الجبل إلى هذه النقر ، فتمتلىء وتفيض ، وبذلك يتجدد ماؤها ويصفو ، فيصبح لذة للشاربين . وإذا انقضى الشتاء ، ومكث الماء بالمهراسين طويلاً ، أو تأخر نزول المطر عن وقته ، فإن ماءهما يتغير طعمه ولونه وريحه ، وتعلوه قشرة من الطحلب ، وتتولد فيه حيوانات الماء فلا يصلح للشرب . ونستنتج من هذا ، ومما سبق ذكره من وجود النبي صلى الله عليه وسلم ، ريحاً بماء المهراس حين قدّم له في غزوة أُحد : أنّ هذه الغزوة إما أن تكون وقعت في موسم الصيف ، أو في وقتٍ تَقَدَّمه عدم نزول الأمطار بالمدينة بمدة مديدة .

(١) إنما يصح أن نستخرج من قوله : (ماساكنه بين افراس) أن الذى قصده هو المهراس الشرقي لإمكان وصول الخيل إليه ، أما الغربي فستحيل أن تصله لما في طريقه من الصخور المرتفعة التي ليس في مقدور الخيل صعودها مطلقاً لأنها مُلسٌ علاوة على ارتفاعها.

وإذا تأخر هطول الأمطار زمناً طويلا يغيض ماء المهراسين ، كما شاهدناه مراراً .

والطريق إلى المهراسين ، قبور شهداء أحد ، ويتجه إلى الشمال وبعد نحو ربع ساعة يفترق الطريق إلى شعبتين : شعبة تذهب إلى الشرق الشمالىّ توصل إلى المهراس الشرقى ، وشعبة تتجه إلى الغرب الشمالىّ توصل إلى المهراس الغربىّ .

---

(١٣)

المناصع

المناصع لغة : مواضع يتخلى فيها لقضاء الحاجة ، واحدها منصع . . وقد كانت بخارج المدينة فى شرقيها ، كانت النساء ، ومنهن أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام ، يقصدنها لقضاء الحاجة ليلا ، قبل اتخاذ الكُنُف بالبيوت ، على مذهب العرب ، وموقعها بناحية بئر أبى أيوب شمالىّ البقيع . ولعلها كانت تكون فى العرصة الواقعة بالجنوب الشرقىّ من هذه البئر .

وطريق المناصع فى عهد استعمالها هو زقاق المناصع بشرقى المسجد النبوى وكان هذا الزقاق غير نافذ فى القرن التاسع ، وكذلك حاله اليوم .

فى شرقى المسجد النبوى الآن زقاقان ضيقان غير نافذين . . فالزقاق الذى يلى الباب المجيدى ، يعرف بزقاق رباط النخلة ، والذى يلى باب النساء يعرف بزقاق البدور .

ولِماَ ثبت من كون أمهات المؤمنين كُنَّ يخرجن إلى المناصع ، ولكون زقاق البدور هذا يلى بابهن ، لهذين الأمرين نرى أنه هو زقاق المناصع . . ولا ينافى هذه النظرية عدم نفاذه إليها الآن ، كما لا ينقص من قيمة هذا الرأى تسمية الزقاق اليوم بزقاق البدور ؛ فكل من عدم النفاذ ، وتغير الاسم ، حادث . . أما الأول فبسبب بناية السور على المدينة ، وأما الثانى فلما يحصل دائماً من تغير الأسماء بأسباب مختلفة مع بقاء المسميات .

وقد لاحظت أن فى تسمية زقاق المناصع بزقاق البدور دلالة معنوية على أنه هو . . ذلك لأن معنى (البدور) لغةَ الإسراع إلى الشىء . . والإسراع من لوازم من يريد قضاء الحاجة فى مكان بعيد كالمناصع خصوصاً إذا كان حابساً نفسه طول النهار ، كما هو شأن النساء فى عهد اتخاذ المناصع .

وفى تعليقات الشيخ إبراهيم فقيه ، ما يفيد بأن زقاق البدور هو زقاق المناصع .

(١٤)

حارة الأغوات

وشكل أبنية المدينة فى القرون الوسطى

لعل هذا أول بحث يسطر فى هذا الموضوع . . يوجد بحارة الأغوات فى طرف الطريق الشمالىّ بعد منهل العين الزرقاء ، رباط قديم ، على بابه حجر مسنّ منقوش فيه ما نصه :

« وقف هذا الرباط المبارك لوجه الله تعالى العبد الفقير ياقوت المظفرى المنصورى الماردانى على الفقراء والمساكين الغرباء ، الرجال خاصة دون النساء ، تقبل الله منه وأثابه الجنة برحمته وكرمه . بتاريخ سنة ست وسبعمائة » اهـ .

ومن هذه الكتابة فهمنا أن هذا الرباط من آثار القرن الثامن ، كما استنتجنا أن ما شاكله فى هيئة البناء قرين له أو قريب .

والحارة يحدها غرباً : المسجد النبوىّ ، وشرقاً باب الجمعة ، وجنوباً سور المدينة الجنوبىّ ، وشمالاً البيوت المحاذية لطريق البقيع فى طرفه الشمالىّ .

أبنية هذه الحارة مؤلفة من نوعين : بيوت وأربطة . . فالبيوت يعتورها التجديد والنقض والبناء بحكم الملكية . أما الأربطة فبحكم

وقفيتها على الفقراء فأكثرها يكون سالماً من طوارىء الهدم والتجديد ، إلا فى حالات استثنائية ، ولذا فليكن بحثنا فيها : —

هذه الأربطة تكون مبنية فى الغالب بالحجارة والطين ، وهى ذات طبقة واحدة فى الأكثر وقليلا ما تكون ذات طبقتين . . . أما ثلاث فلا . . . وغالباً ما تكون نجف أبوابها ، من صخور عظيمة مستطيلة منحوتة تتصل مباشرة بالحجارة الأخرى ؛ فلا خشب ولا عقود . وغرفها الداخلية مطلية بالنورة فى الداخل . أما فى الخارج فأقل من القليل . وأبوابها واطئة ، ولذا قلما يستطيع المرء الدخول إليها إلا بعد أن يطأطىء من رأسه ، وقد استعلت أرض الشوارع والأزقة عليها ، ولذا فالدخول إليها يكون نزولياً بدرج .

هذا الشكل من البناء ينير لنا عن كيفية بنايات المدينة فى القرون الوسطى إنارة اجمالية لها أهميتها فى موضوعنا.

[١٥]

الحفريات

أمدينة فوق المدينة

الحفريات التى شاهدتها ، والتى حُدثت عنها ، تجيب فى صراحة ، عن السؤال المتقدم بالايجاب ، فان أغلب بيوت المدينة الحالية وابنيتها ، تقع فوق القديمة ، ولا غرو ، فمن طبيعة هذه الأرض أن تربو على مر السنين فتعلو طبقتها المستجدة على القديمة .

ومما ينبغى ذكره أن الحفريات التى تجرى فى المدينة ليس الغرض منها البحث عن آثارها المدفونة ، كلا . . . بل المرام منها وضع الأسس ، أو غرس الودى ، أو نحو هذا وذاك من المقاصد العادية ، التى لا رابطة بينها ، و بين مهمة التنقيب عن الآثار ، لإفادة العلم وتنوير صفحات التاريخ ...

ففى أثناء الحفريات المشار إليها ، قد يوجد مصادفة ، بعض آثار الأولين ، من الأبنية و بقايا الأثاث : حدث فى سنة ١٣٥٢ ﻫ . أنه بينما كان العمال يحفرون أساس القسم الشمالى لمدرسة العلوم الشرعية

الواقعة بقرب باب النساء ، إذ عثروا بعد عمق أربعة أمتار على مصباح زيت قديم .

ومما وجده العمال أيضاً بركة صغيرة ، ومجارى مياه ، وقطع من قُلل الماء .

وفى عام ١٣٣٥ هـ بينما كان العمال يحفرون لوضع أساس النصب التذكارى الذى أمر فخرى باشا بإقامته بالمناخة جنوبىّ السبيل ، تذكاراً لتولية الدولة العثمانية للشريف على حيدر ، على إمارة مكة — بينما كان العمال يحفرون هناك إذ انفتحت لهم هوة كشفت عن بيوتٍ ، سقوفها تحت طبقة هـذه الأرض ، فنزلوا إليها ، ووجدوا بها ثياباً معلقة على حبال ، ومع بلاها فإنها كانت محتفظة بهندامها ، متماسكة بحكم الرطوبة ، وعدم تخلل الهواء ، للغرَف الموجودة بها ؛ ولكن بمجرد لمس العمال إياها تناثرت كما يتناثر الرماد ، وتساقطت تساقط الأجساد المحنطة إذا مستها يد . . فدمروا البيوت وشادوا عليها بناية التذكار ، وقد دمرت هى أيضاً فى عهد الحكومة الهاشمية .

وفى عام ١٣٣٣ هـ بينما كان العمال يحفرون ؛ لغرس الودى فى القسم الشمالى من بستان آل السيد محى الدين بالطرناوية ، إذ انفتحت أمامهم هوة واسعة عميقة متصلة بنفق واسع عال ، فهبط إليها بعضهم

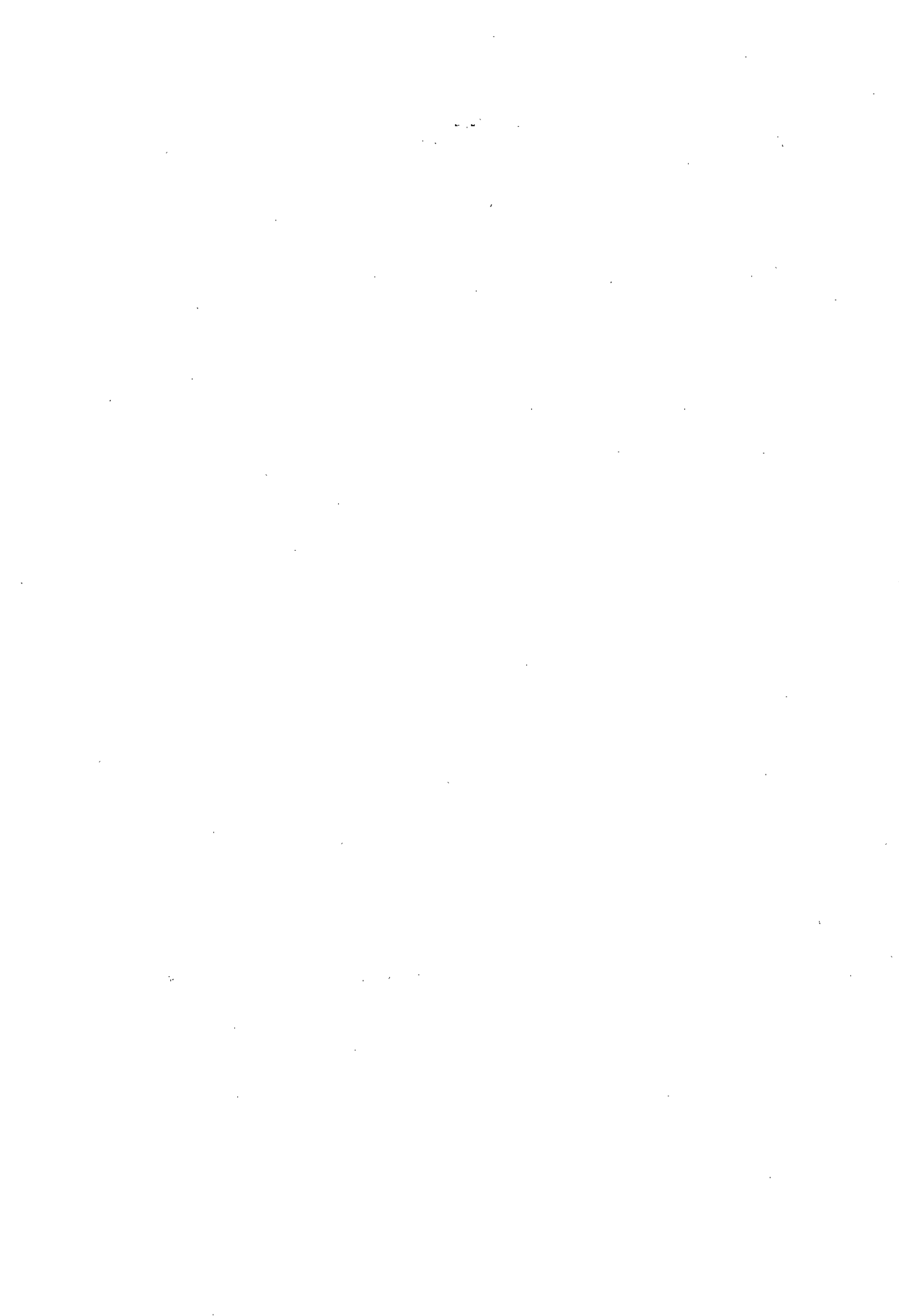
وسار فى النفق ، ولإظلامه ارتعب فعاد أدراجه وصعد إلى ظاهر الأرض وكذلك فقد حدث منذ أعوام أنه بينما كانوا يحفرون فى القسم الجنوبى من هذا البستان إذ انفتحت هوة وجدوا فيها فرشاً من الطوب الأحمر المربع الكبير

وكم من حفريات غير هذه وتلك ، جرَت بالمدينة ، فعثر الحافرون فى أعماقها على آثار وأزيار وخلافهما .

وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا : إن كل من يحفر بداخل المدينة وخارج سورها إلى حد ليس بالبعيد يجد آثار الأولين .

إذاً فقد ثبت علمياً وحسياً : أن المدينة القديمة مدفونة تحت المدينة الحديثة . ومما يوطد مركز هذه النظرية قول السمهودى : « وقد علا الكبس على كثير من البلاط ولم يبق ظاهراً منه إلا ما حول المسجد النبوىّ وشىء من جهة بيوت الأشراف ولاة المدينة » .

فإذا كان هذا فى عصر السمهودى (القرن التاسع الهجرى) فما بالك بالحال الآن ، وقد مر بعد ذلك العصر ما يقرب من أربعة قرون ؟ .



قسم الجبال والبحار

الجبال والحرار

تمهيد : —

تقع المدينــة فى واد رحب ملتوٍ ، تحيط به الجبال والحرار ، ولما كان أغلب هذه الجبال والحرار ذات اتصال وثيق بحوادث هامة ، ومواقف حاسمة ؛ حصلت فى عصر صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم : أصبحت منذ ذلك الوقت فى الذروة من تاريخ الإسلام عامة ، والمدينة خاصة . ولذا كان لزاماً على الباحث الأثرىّ أن يضعهما فى قلب أبحاثه .

وقياماً بهذا عنينا بوصفها فيما يلى :

(١)

جبل أُحد

« هذا جبل يحبنا ونحبه » — ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى حق هذا الجبل . وبه حصلت أحد المشهورة سنة ٣ هـ .

أما وصفه الطبعىُّ فهو أنه جبل صخرىّ من الجرانيت ، وطوله من الشرق إلى الغرب ٦ آلاف متر ، وفيه رؤوس كثيرة وهضبات شتى . . من كثرتها يكاد الناظر إليه يتخيلها جبالا شبه مستقلة ، أو يخيل إليه أن أحداً هذا ، هو عبارة عن جبال كبار وصغار ، مرتبطة بعضها ببعض ومن مجموعها العمومى تشكلت وحدة هذا الجبل . . ومن تلاصق هذه الجبال ، ووجود منفرجات بينها تكونت فى أُحُدٍ المهاريس ، التى هى نقر طبيعية لحفظ المياه المتحدرة من أعالى الجبل .

ومع أن لون جبل أحد أحمر وفق ما حكاه مؤلف مرآة الحرمين ، فإننا قد وجدنا فيه هضبات وصخوراً وعروقاً مختلفة الألوان . . بعضها يميل إلى الزرقة ، والبعض أسود أثمدى والبعض رمادىّ اللون ، والبعض أخضر . . وقد لفت نظرى بوجه خاصٍّ ما لاحظته فى بعض عروقه

بالطريق الذى صعدت منه إلى قبة هارون[1] — إذ شاهدت فى بعض تلك العروق إشراقاً وفى بعضها اخضراراً زاهياً .

هذا وقد حدثنى السيد أسعد بن السيد محيى الدين . قال : إنه فى أثناء صعوده مع جماعة إلى المهراس الغربىّ من الجبل عام ١٣٣٠ ھ عثر فيما بعد هذا المهراس على حجر أثمد وزنه مثقالان فباعه إذ ذاك بخمسة جنيهات مسكوفية ذهباً ، ثم فى أثناء جولانه بذلك الموضع عام ١٣٥١ ھ وجد حجراً أثمد وزنه ٧ مثاقيل ، ولا يزال موجوداً لديه . وقد جاء به إلىّ فاذا هو ثقيل جداً يبدو له بريق ولمعان يزينه سواد ضارب إلى الحمرة ، وقد روى لى أيضاً أن الحاج جلالا البخارى كان قد عثر بقرب هذا المهراس نفسه على حجر كبير ، بكسره انفلق على زبرجدة كبيرة ، باع منها بمبلغ ٦٠ جنيهاً أفرنجياً ذهباً ، ولا يزال لديه فص صغير من بقية ذلك الحجر الكريم .

وكل هذا يدل دلالة حسية ، على مافى أُحد من نفيس الجواهر والمعادن خصوصاً مع ملاحظة ما شاهدته من إشراق بعض الحجارة به .

---

(١) هذا البناء مشهور فى المدينة وقدصعدت إليه فإذا هو عبارة عن أربعة جدر مكشوفة قصيرة بجانبها الغربى الشمالى صهريج ماء . ولعل هذا البناء هو الذى قال عنه السمهودى : « وفى أعلى جبل أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريباً والناس يصعدون إليه » ا هـ .

ومؤرخو المدينة أعرضوا بالكلية عن مثل هذه البحوث الهامة . ولو اهتموا بها لأفادونا إفادة تذكر فتشكر .

ويقع جبل أحد فى شمال المدينة . ويبعد عنها نحو ٥٠ دقيقة بالمشى السريع ؛ وفيه مسجد صغير على يمين الذاهب إلى المهاريس جزم المطرى بأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أحد بعد انقضاء القتال .

هذا وبالصخور التى بالعطفة الواقعة فى شمال الشق المقول بأنه الغار الذى اختفى فيه الرسول يوم أحد : توجد كتابات بالخط الكوفى القديم .

وكذلك بجانب العطفة الذاهبة إلى المهراس الشرقىّ توجد صخور عظيمة عليها كتابات قديمة ، خطها شبيه بالسالفة الذكر .

وبرغم قدم هذه الكتابات وكثرتها لم ينوه عنها مؤرخو المدينة .

جبل أحد

(٢)

جبل عينين، أو جبل رماه

جبل صغير، يغلب على لونه الاحمرار، يقع جنوب ضريح سيد الشهداء رضى الله عنه ويفصل بينهما وادى قناة؛ وقد قِستُ مسافة ما بينهما فإذا هى نحو ٦٢ متراً.

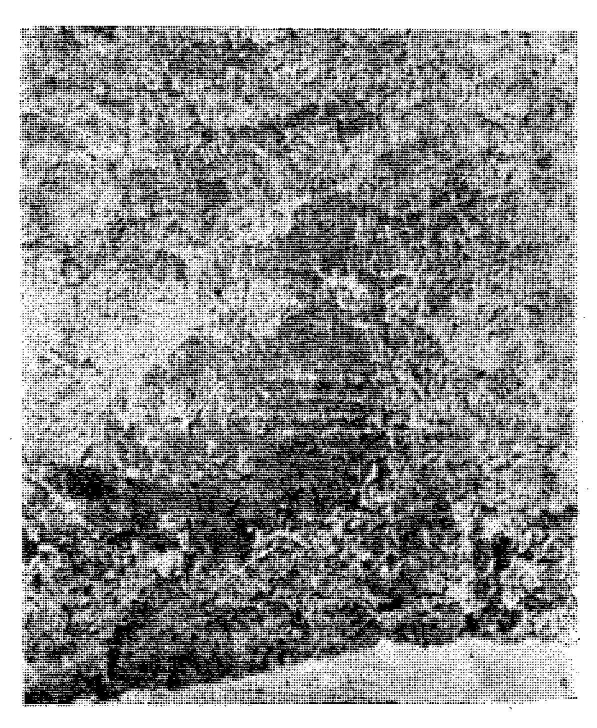
وفى ركن الجبل الشرقىّ مسجد صغير مأثور، وهو مكشوف، ومبنى بالحجارة غير المنحوتة وبالجير، طوله ٥ أمتار و٩٠ سنتيمتراً فى عرض ٤ و٤٠ سنتيمتراً، وارتفاع جُدره ٧٠ سنتيمتراً، ونعلو الجبل اليوم، فى كل مواقعه، بيوت وحوانيت لبعض أهل المدينة، وكان مصرع عم الرسول فى موضع المسجد المشار إليه آنفاً وتقول بعض الروايات ان النبى صلى عليه فى هذا الموضع.

وعلى جبل عينين وضع النبيُّ صلى الله عليه وسلم ٥٠ رامياً من أصحابه فى غزوة أُحد، وأمرهم بعدم التحرك على أية حال. ومن هذا جاءته التسمية بجبل الرماة، وبهذا الاسم يعرف اليوم.

(٣)

جبل سلع

جبل عظيم شامخ فى شمال المدينة ، يبعد عنها نحو ٥ دقائق وحجارة هذا الجبل سود بوجه الإجمال ، تتفتت من ضغطها باليد ، ويقال إنها تحتوى

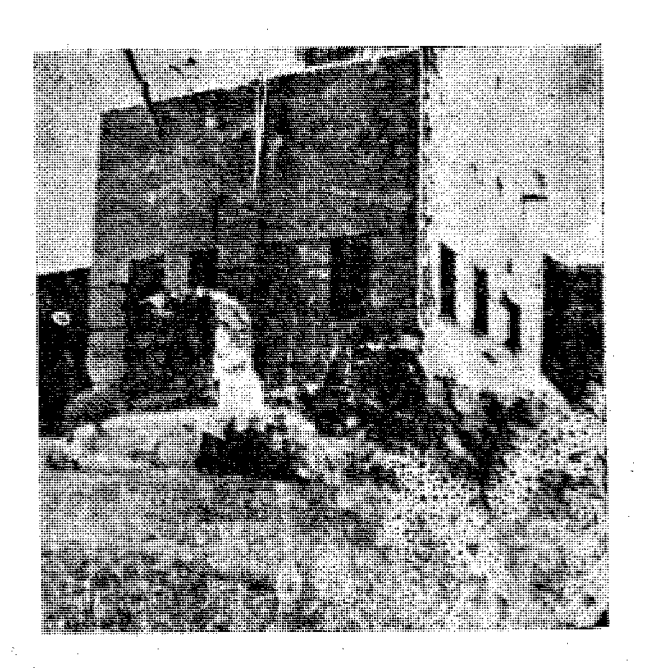


دكة جلال وأمامها كتابة كوفية

(٥)

جبل المستندر

هو جبيل صغير يبلغ ارتفاعه نحو ٣ أمتار ، وقد أورده السمهودى وقال : إنه يقع فى شرق مشهد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامى .



جبل المستندر وفوقه السبيل والأيوان

مادة الأسمنت ، ولكن لم يتحقق هذا بتجربة علمية بَعدُ . وفى شرقيه دكة جلال ، نظمها شخص يدعى بهذا الاسم ، وفى سفحه الغربىّ كهف بنى حرام الذى كان مبيت الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وبشمال هذا الكهف فى سفح الجبل أيضاً مسجد الفتح ، وقد سبق ذكره (فى قسم المساجد) .

وفى علو سفحه الجنوبىّ كتابة كوفية أثرية قديمة ، نصها على ما رواه صاحب مرآة الحرمين : أمسى وأصبح عمر وأبو بكر يشكوان إلى الله من كل ما يكره . . «يقبل الله عمر . الله يعامل عمر بالمغفرة» .

(٤)

جبل سليع

هو الجبل الصغير الذى بجنوب سلع ، وفيه كانت بيوت بنى أسلم من المهاجرين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفوقه اليوم أحد أبراج قلعة الباب الشامىّ ، وكان عليه فى القرن التاسع حصن أمير المدينة من الأشراف ، بناه الأمير ابن شيخة أحدهم فى القرن السابع ليتحصن به وليكشف منه ضواحى المدينة ، ويقول السيد جعفر برزنجى فى « نزهة الناظرين » : إن هذا الحصن هو القلعة المعروفة عند باب السور المعروف بباب الشامى . وفى العباسى ما يفيد أن القلعة المذكورة هى فى مكان الحصن ، وأنها من مبتنيات الدولة العثمانية.

ويفصل بين سُليع وهضبة بشماله ، طريق يؤدى إلى المجزرة وسلع وهذا الطريق هو المعروف قديماً بثنية عثعث .

وقد قست ما بينه وبين المشهد المذكور فاذا هو نحو ٨٢ متراً . وقد كان هذا الجبل فى منازل المهاجرين من بنى الديل فى عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

ونجزم بأنه هو هذه الهضبة الماثلة اليوم التى يقع فوقها سبيل داود باشا[(١)] وإيوان بستانه ، نظراً لانطباق الوصف المذكور عليها .

ونحن لا يسعنا إلا أن نسدى لداود باشا جزيل الشكر ، إزاء عدم اكتساحه لهذا الجبيل الضئيل ، لأنه لو اقتلعه بالكلية ، وذلك سهل على مثله ، لافتقدنا هذا الأثر الذى أصبح نسياً منسيا .

---

(١) داود باشا هذا هو الذى خرج على الدولة العثمانية ، لما كان والياً على بغداد . وقد عينته بعد ذلك شيخاً للحرم النبوى ، وأنشأ البستان المعروف بالداودية قرب جبل سلع عام ١٢٦٥ هـ .

(٦)

عير وثور

اسما جبلين من جبال المدينة ؛ أولهما عظيم شامخ ، يقع بجنوب المدينة على مسافة ساعتين عنها تقريباً ، وثانيهما أحمر صغير ، يقع شمال أحد .

ويحدان حرم المدينة جنوباً وشمالاً . وقد صعدت إلى أعلى جبل عير فى أحد شهور عام ١٣٤٧ ﻫ فإذا هو منبسط فسيح بارد تخفق فيه الرياح ، مع أن الموسم كان صيفاً ، فهو بهذا النظر صالح لإنشاء المصحات عليه .

(٧)

حرة واقم [1]

هى الحرة الكائنة شرقىّ المدينة ، وتحد حرم المدينة شرقاً ، وحده الغربىّ : حرة الوبرة ، فهما اللابتان المقصودتان فى الحديث النبوى .

وتنقسم حرة واقم باعتبار المنازل الواقعة فيها قديماً إلى خمس

(١) الحرة منطقة سوداء من الحجارة النخرة المحترقة والمؤلفة من السائل البركانى .

مناطق متجاورة : منطقتين كانتا لليهود ، وثلاث كانت للأوس من الأنصار . . فبزهرة منازل بنى النضير ، وبشمالها منازل بنى قريظة.

وبشمال هذه منازل بنى ظفر من الأنصار حيث مسجدهم المعروف بمسجد بنى ظفر ، وبجانبهم شمالاً أيضاً منازل بنى عبد الأشهل مع بنى زعور بن جشم الأنصاريين .

وفى منازل بنى عبد الأشهل كان حصنهم (واقم) الذى سميت به الحرة وبشمالهم منازل بنى حارثة إلى نهاية الحرة شمالاً .

ويرى المتجول فى أنحاء هـذه الحرة آثار دور وحصون ومصانع منتشرة فى عرضها وطولها ، وقد وجدنا بهـا آثار مصنع قديم فيـه أنواع القطع الفخارية المدهونة من كل لون ، وبجانب هـذا المصنع العظيم المندثر ، صهريج ماء مطلى بالرصاص من الداخل ، وبشرقه غدير ، والمصنع المذكور واقع جنوب شرق بستان دَشَم بمسافة ١٢ دقيقة تقريباً .

وقد شاهدنا فى هـذه الحرة فوهة بركانية ذات شق مستطيل جداً من فوق دشم ، وعند ما رأيناها لأول مرة ظننا أنها من آثار

الإنسان القديمة . ولكن تتبعى لشقها الملتوى أكد فى نظرى أنها من الآثار الطَّبعِيَّة .

وبقرب طريق العُريض من هذه الحرة ، تلول عظيمة من أطلال الآطام والدور التى كانت مشيدة بهذه الحرة .

وبها كانت وقعة الحرة المشهورة ، وذلك فى أيام يزيد بن معاوية عام ٦٣ هـ .

(٨)

حرة الوبرة

هى بضاحية المدينة الغربية ، وهى أقرب إليها بالنسبة لحرة واقم ، وتمتاز عن هذه بكثرة الهضبات والتلاع ، والمستنقعات والمنخفضات والمرتفعات ، وفيها قريباً من بئر عروة بطريق مكة ، بِرْكة كبيرة مجصصة قديمة ؛ وتروى عنها قصص خلابة ؛ مع أنها فى رأيى لا تعدو أن تكون واحدة من هذه البرك التى كانت تبنى فى طرائق الحجاج[1] .

وبهذه الحرة المدرج الذى يقال إنه ثنية الوداع أيضاً .

وبطرفها الشمالىّ الشرقى : منازل بنى سلمة ، ومن تحت طرفها الغربىّ قصر عروة وبئره ومزارعه ، وبعض قصور العقيق ، وبطرفها الشمالىّ مسجد القبلتين . وهى إحدى اللابتين اللتين تحدان حرم المدينة كما سبق ذكره .

---

(١) فى عمدة الأخبار فى مدينة المختار للعباسى أن اسمها بركة «وبيك» .

قسم الأودية

أودية السيول

تمهيد :

تكتنف المدينة أودية سيول ستة :

١ — وادى العقيق : (فى ضاحيتها الغربية)
٢ — وادى رانوناء : (فى ضاحيتها الجنوبية الغربية)
٣ — وادى بطحان : (فى ضاحيتها الجنوبية)
٤ — وادى مذينيب : (فى ضاحيتها الجنوبية الشرقية)
٥ — وادى مهزور : (فى ضاحيتها الشرقية)
٦ — وادى قناة : (فى ضاحيتها الشمالية الشرقية)

ويسيل العقيق ووادى قناة فى خارج المدينة ، والأربعة السيول الباقية : تجتمع فى وادى بطحان من جنوبى المدينة وتسير ممتزجة حتى تدخل المدينة من الأبواب الحديدية المعمولة لها قديماً تحت باب قباء بشرقيه ، وتشق الأودية الأربعة المدينة ممتزجة ، وتسير إلى الشمال فى المسيل المعروف بابى جيدة حتى تخرج من باب البرابيخ ، وتفيض فى صفاصف إلى أن تبلغ سفح سلع ثم تفضى إلى زغابة حيث تجتمع بسيلى العقيق ووادى قناة .

كان على وادى العقيق القصور الأنيقة ، والحدائق الغناء ، وكان وادى رانوناء متنزهاً مقصوداً وعلى ضفتى بطحان بساتين ونخيل ، وبمذينيب كانت منازل بنى النضير من اليهود ، وعلى مهزور منازل بنى قريظة منهم . وكان بجانب وادى قناة الجنوبى منازل بنى حارثة وبنى عبد الأشهل وبنى زعورا الأوسيين .

أما اليوم فالعقيق مقفر من القصور ، قليل المتنزهات ؛ ورانوناء أرض بقلع ، ولا تزال جنبتا بطحان حاليتين بالبساتين وفى عصر الرسالة طهر الله المدينة من القرظيين والنضريين وتلك رسوم منازل بنى حارثة وأبناء عمهم ، وقد انقرض أهلوها فظلت مندثرة هامدة .

هذا وصف إجمالى تاريخى أثرى لهذه الأودية ... أما التفصيلى فدونكه فيما يلى :

(١)

وادى العقيق

لم سمى بهـذا الاسم . هواؤه وتربته . جهته بالنسبة للمدينة وطريقة منها ومسافة بعـده عنها . مصدره ومصبه . وقصوره ودوره . بساتينه وآباره . جماواته وآثاره . فضائله وعمرانه وخرابه .

هـذا الموضوع شائق ، ولـكنه مع ذلك شائك صعب المراس . ونحن سنبذل قصارى جهودنا فى سبيل تذليل عقباته وجلاء صفحة سمائه . لنـكشف اللثام عن تاريخ هذا الوادى الذهبى ، الذى كان فى عصر من العصور مطمح أنظار الخلفاء والأغنياء والشعراء بما حوى من قصور جميلة ومنتزهات لطيفة .

وادى العقيق . لم سمى بهذا الاسم ؟

عُرِض هـذا السؤال على سليمان السعدى المتضلع فى فقه اللسان العربىّ ، فـكان جوابه للسائل : « لأنه عق فى الحرة » أى شق وقطع ، وهناك قول بأن سبب هذ التسمية هو حمرة الوادى .

والتوجيه الذى أدلى به سليمان هو المقبول للنقط الآتية : ــ

١ ــ ذكر ياقوت أن اسم العقيق عمومىّ لـكل مسيل ماء شقه السيل فأنهره ووسعه (معجم البلدان ج ٦ ص ١٩٨) .

٢ — ونص على أن ببلاد العرب أربعة أودية تسمى جميعاً بالعقيق .

٣ — أن السمهودىّ حكى أن تبعاً لما مر بالعقيق قال : « هذا عقيق الأرض » وهذا بعد أن مر بالعرصة التى كانت تسمى بالسليل من العقيق نفسه ، فقال عنها : « هذه عرصة الأرض » . فكما أن معنى العرصة لغة : المكان المتسع الخالى ، ولذا أطلقها تبع على السليل ، فكذلك كان إطلاقه اسم العقيق على هذا الوادى نظراً لكونه شقاً فى الأرض أحدثه السيل الذى يجرى فيه .

هواؤه وتربته : — هواء هذا الوادى صاف منعش على الإطلاق . أما تربته فهى رملية تكتسى حمرة فى الغالب . وأجمل بقاعه : الصغرى والكبرى .

جهته بالنسبة للمدينة وطريقه ومسافة بعده عنها : — يقع وادى العقيق فى غربىّ المدينة ويشقه طريق مكة . وأقرب الطرق من المدينة إليه : —

باب العنبرية — الطريق شمال قبة الخضر — المدرج — العقيق .

ويبعد عن المدينة من هذا الطريق نحو ٣٠ دقيقة بالمشى المتوسط .

مصدره ومصبه : — مصدره حضير : (مزارع بقرب النقيع الواقع بجنوب المدينة على مسيرة يوم ونصف منها) ، ويفضى إلى بئر

على العليا المعروفة بالخليقة ، ثم يمر بغربىّ جبل عير فذى الحليفة ثم يسير مشرقاً إلى أن يحاذى حرة الوبرة ، فى قسمها الذى يطلع إلى المدينة ، ثم يعرج إلى الشمال و يتجاوز العرصتين و يفيض فى زغابه (مر وصفها) .

قصوره ودوره : — قال محمد بن عبد الله البكرى قاضى المدينة وعمر بن عبد الله :

أين أهل العقيق ؟ أين قريش ؟ أين عبد العزيز ؟ وابنُ بُكيرْ
ولو أن الزمان خلد حيًّا كان فيه يخلد ابن الزبير

يشاهد الإنسان بعد أن يتجاوز طرف حرة الوبرة ، مصعداً ذاهباً إلى الحرم ، أو متوجهاً إلى العرصتين بالشمال ، تلولاً متسلسلة على جانبى المسيل . . . وتلك التلول هى آثار قصور العقيق ودوره القديمة ، وقد لا يسترعى الأنظار مرأى هذه التلول لأول وهلة ، إذ يحسبها الناظر فيها بعض الكثبان الرملية المتكونة فى أطراف الوادى تكوناً طبيعياً . . أما إذا دقق النظر فيها ، فإنه يتحقق أنها آثار القصور العقيقية الفاخرة ، بدت اليوم فى هذا الشكل المزرى ، بحكم تقادم العهد ، وفعل المؤثرات الخارجية .

وإليك مواقع القصور والدور بالعقيق حسبما حققته بعد إجهاد القريحة :

ا — القصور الواقعة بطرف حرة الوبرة إلى بئر رومة :

١ — قصر عروة بن الزبير ، بقرب بئره .

٢ — قصر مراجل .

٣ — قصر سكينة بنت حسين المسمى بالزينبي .

٤ — قصور متتابعة لاسحق بن أيوب .

٥ — قصور أخرى لبعض الأعيان .

٦ — قصور ابنة المرازق الزهرية .

٧ — منازل جعفر بن إبراهيم الجعفرى .

ب — القصور التى فى العرصة الكبرى الواقع فيها بئر رومة :

١ — قصر عبد الله بن عامر .

٢ — قصر مروان بن الحكم .

ج — القصور التى بالعرصة الصغرى :

١ — قصر سعيد بن العاص (هو الباقية آثاره دون سواه) .

٢ — قصر عنبسة بن سعيد بن العاص .

٣ — القرائن (دور كانت لآل سعيد بن العاص بقرب قصره الأغانى ج١ ص ٦) .

د — القصور التى بسفح جماء أم عافر (أو عاقل) :

١ — قصور جعفر بن سليمان .

هـ — القصور الكائنة بسفح جماء أم خالد :

١ — قصر محمد بن عيسى الجعفرى .

٢ — قصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة .

و — القصور الواقعة بسفح جماء تُضَارُعَ :

١ — قصر طاهر بن يحيى .

٢ — منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

٣ — قصر عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان .

٤ — قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان .

٥ — قصر عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان . (وهو ابن بكير المذكور فى البيتين السابقين) .

ز — القصور الكائنة بسفح جبل عير :

١ — قصر اسحق بن أيوب المخزومى .

٢ — قصر لآل طلحة .

٣ — قصر إبراهيم بن هشام .

٤ — منازل لآل سفيان بن عاصم .

* * *

هذا بيان إجمالى لمواضع قصور العقيق . . أما تعيين موضع كل منها بالتحقيق فذلك عسير جداً . . ناهيك بما تحملناه من البحث العلمى والتفكير حتى توصلنا إلى إيضاح مواقعها بالصفة المشروحة أعلاه .

بساتينه وآباره : — لا عجب أن يكون العقيق فى سابق عهده مغموراً بالبساتين الجميلة التى تسقى من السيل إذا جرى ، ومن الآبار إذا توقف . . فوجود الرياض فيه من مستلزمات حياة النعيم التى كان يستظل بأكنافها أهل المدينة ، فى تلك الحقبة من الدهر :

وهذا بيان ما اطلعت عليه من ذلك :

١ — مزارع أبى هريرة قبيل المَحْرَمى (الميقات) .

٢ — مزارع عروة بن الزبير قريباً من بئره .

٣ — بساتين ابن بُكير بقرب قصره الذى بسفح جماء تُضَارُع .

٤ — مزارع مروان بن الحكم بقرب قصره بالعرصة الكبرى .

٥ — بستان سعيد بن العاص بقرب قصره بالعرصة الصغرى .

٦ — مزارع الجرف التى منها الزين مزرعة النبى صلى الله عليه وسلم على مارواه ابن زبالة .

٧ — مزارع ثنية الشريد (بعد ذى الحليفة) .

* * *

أما اليوم فتوجد بالعقيق مزارع وبساتين متفرقة ، لا تكاد تذكر بالنسبة لاتساع رقعته وصلاح تربته . . وأهمها ما يقع بقرب ذى الحليفة شمالاً وجنوباً ؛ وتعرف بمزارع الاحساء لقرب الماء من ظاهر الأرض فى تلك البقاع ، ويجوز (الشَّرْىُ) [1] فى هذه المزارع .

وبالعرصتين والجرف حدائق أطيبها ماءً (الزُّبَيْرية) بالجرف وهواءً سلطانة .

وكان بالعقيق عدد غير قليل من الآبار ، لا تزال آثار بعضها بادية ، ولكنها مطمورة . أما بئر رومة وبئر عروة ، فقد احتفظتا بحياتهما إلى اليوم لمزاياهما الخاصة ، على أنهما قد انطمرتا فى بعض الحقب الخالية .

جماواته والآثار بها : هى ثلاث هضبات سود كبار ، قائمة بطرف العقيق ، على شفيره الغربى ، وسميت جماوات لأنها دون الجبال ، تشبيهاً بالشاة الجماء التى لا قرن لها .

وأقربها إلى المدينة جماء تُضَارُعَ وهى التى يشاهدها الإنسان عند ما يهبط من المدرج إلى بئر عروة ، وبحذائها غرباً بشمال : جماء أم خالد ، فجماء العاقر التى تصب على العرصة الصغرى ، وعلى رأس جماء أم خالد كان عمر بن سليم

---

(١) الشرى فى العرف هنا اسم جامع للبطيخ والحبحب والقثاء والخيار .

الزرقيّ اكتشف هو وزميل له قبراً قديماً ووجدا عنده حجرين مكتوبين لا تقرأ كتابتهما ، فحملاهما ، فلما ثقل أحدهما عليهما ألقيا به فى الجماء نفسها ولا ندرى أهو باق فيها أم نقل ؟ أم ماذا جرى له ؟ والبحث يظهر الحقيقة .

فضائله وعمرانه وخرابه : — فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتانى الليلة آت فقال : صل فى هذا الوادى المبارك) .

وفى عرصته يقول : « نعم المنزل : العرصة لولا كثرة الهوام » .

أما تاريخ عمرانه فيبدأ من الوقت الذى أقطع فيه النبى كامل العقيق لبلال بن الحارث المزنىّ وذلك بموجب حجة نبوية نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله بلال بن الحارث أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملاً وكتب معاوية » اهـ .

فلما لم يعمل بلال هذا شيئاً فى العقيق أبقى لديه عمر بن الخطاب فى زمن خلافته قسما منه وانتزع منه الباقى ، وأقطعه للناس .

وكان مستند عمر رضى الله عنه فى هذا الصنيع أمرين : —

الأول : — الشرط الوارد فى كتاب الإقطاع النبوى ، إذ أن بلالاً

لم يعمل شيئاً فى العقيق ولذا أصبح غير مالك له .

الثانى : — احتياج الناس إليه لما كثر المسلمون فى المدينة حيث إنها كانت العاصمة .

ومن ذلك الوقت أنشئت به البساتين الغناء ، والقصور الفيحاء تدريجيًا ، فما كادت دولة بنى أمية تستريح من القلاقل الداخلية حتى وجهت عنايتها إلى عمرانه ، فأصبح جنة سندسية خضراء ، زهورها القصور ، ونوّارُها الدور ، وأكامها القُطان والرُّواد . .

ثم ما كاد يبتدئ دور التوقف فى هذه الدولة حتى ابتدأ دور اضمحلال عمران العقيق وازدهاره ، فما هوت حتى ذوى ، ثم صار فى خبر كان إلى الآن ، ولا ندرى هل تعود إليه نضارته ؟ ومتى ؟

إذاً فعمران العقيق الفعلىّ مقرون بحادثة تصرف عمر فيـــه ، وإنها لمنقبة جليلة تضاف إلى سجل مناقبه الضخم ، حيث برهنت على نظراته العلمية والدينية الثاقبة ، كما دلت على تفانيه فى حب العمران وكراهة الخراب .

فلو فرضنا أنه لم ينتزعه من يد بلال ، وبقى فى ورثته لـكان من الجائز أن يظل قاحلاً ، وبذلك تخسر المدينة عمران ضاحية من أجمل ضواحيها ، وأقبلها للعمران .

(٢)

وادى رانوناء

هضاب بهذا السد بالصلد كلها على كل واديها جنان من الأرض
وإن الغوانى لا يزلن يردنه وكل فتى سمح سجيته غض

هذان البيتان عثرت عليهما منقورين — بخط قديم — فى صخرة عظيمة جداً ، بقرب مسدود التى بوادى رانوناء على يسار الذاهب إليهما من قباء . . وقد وقفت مع بعض الإخوان أمام تلك الصخرة تحت شعاع الشمس المحرق زهاء نصف ساعة ، نحاول قراءة هذا الخط العتيق . وبعد اللتيا والتى وُفقْتُ إلى قراءتهما بالصورة المرقومة أعلى . ولا أزال ألاحظ تشويشاً لفظياً ومعنوياً فى البيت الأول .

وأسلوبهما الفخم ينم عن كونهما مما قيل فى صدر الإسلام .

وإننا لنشكر لهذا الشاعر ما قام به من تسجيل هذا الصك التاريخى الحافل بذكريات رائعة عن دور ناضر من أدوار هذا الوادى . . ضرب عنه المؤرخون صفحاً ، وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً . . .

وهكذا نرى بعض الشعراء فى بعض الأحيان يقومون بدور المؤرخين ولكن بمثل هذا الأسلوب الشعرى الإجمالىّ الإخاذ .

يريد الشاعر أن يطلعنا — نحن الأجيال القادمة بالنسبة لزمنه — على أن هــذا الوادى لم يكن كما نراه اليوم ، أجرد قاحلاً ، بل

لقد كان فى عصره ، زاخراً بالرياض الفيحاء ، مرتعاً للظباء الأوانس ومسرحاً للفتيان الأجواد ، يقصده النوعان ، بكرة وعشياً ، للتنزه فى مروجه الخضراء ، والتمتع بجماله الجذاب .

ويُخَيَّلُ إلينا أن الشاعر لما ارتسم فى ذهنه الصافى ، جمال منظر الوادى ومن فيه أبت قريحته الخصبة إلا أن تجود بالبيتين المذكورين ، وأبى سمو مداركه إلا أن ينقشهما بيده على هذه الصخرة الملساء ، وقلنا إنَّ ناظمهما هو راقمهما ، استنتاجاً من وجود اسم تحتهما ، ولرداءة خطهما ، كخط أغلب الشعراء البارعين .

* * *

آثار الوادى : السد — الكتابات : —

قولنا السد بلفظ المفرد ، لا يخلو من مجاز ، وإلا فالحقيقة أنها سدود ثلاثة محكمة البناء متقاربة ، وأكبرها الجنوبى الذى يلى مصادر السيل ، ويليه فى الضخامة الثانى فالثالث .

وحجارة بناء السدود الثلاثة متلاصقة بدون حشو بينها .

والحكمة فى جعل السد الجنوبىّ أضخم : تقويته لتلقى تيار السيل الذى يصادمه ، فإذا امتلأت السدود يجرى السيل فى الصفاصف إلى أن ينزل إلى العصبة . . وهناك مجراه ظاهر .

* * *

هـذا وقد عثرنا على كتابات شتى فى صخور المضبة التى تلى السد فى غربيه وأهم ما فيها كتابة هذا نصها : ــ

« جدد هذا السد بإرادة الملك المظفر السلطان عبد العزيز خان سعادتلو شيخ الحرم خالد باشا بنظارة الفاضل محمد صالح حماد سنة ١٢٨٩ ﻫ بالمدينة المنورة . . عمر أزميرى غفر الله له آمين » اﻫ

وهذه الكتابة تدل على أنه كان فى موضع هـذا السد ، سدٌّ آخر ، لأن التجديد لا يكون إلا للموجود ولعل السد المجدَّد بهذا هو سد عبد الله بن عمرو بن عثمان الذى جاء فى وفاء الوفا أنه يصب فيـه سيل رانوناء :

وتوجد كتابات كثيرة فى صخور هذا الوادى و بمصبه إلى العصبة .

أما مصدر سيله فهو مقمة أو مقمن (جبل جنوبىّ عير) ، ومن هـذا الجبل يفيض على قرين صريحة ، فالسد الموصوف ، فالعرصة بعـده ، فالصفاصف ، فالصخور ، فأرض العصبة ، ثم يسير حتى يعترض طريق قباء الحديث حيث عمل له هناك مجرى فوقه جسر ، ثم يختلط بوادى بطحان ، و يدخلان المدينة معاً من تحت باب قباء فى شرقيه .

ووادى رانوناء فى الضاحية الجنوبية الغربية للمدينة . والسد الذى به يبعد عن المدينة نحو ساعتين . وطريقه منها : ــ

باب قباء ــ طريق قباء ــ انحراف إلى الجنوب الغربىّ ــ الطريق غربى بستان العصبة ــ الحرة ــ الصخور ــ الصفاصف ــ العرصة ــ السدود .

(٣)

وادي بطحان

يطلق اسم حان اليوم على كل ما بغربى مسجد المصلى من المدينة إلى الحرة الغربية ، وفى هذا الإطلاق شىء كبير من المجاز . . إذ أن حقيقة المسمى ببطحان لا يعدو هذا المسيل ابتداءً من قرب الماجشونية المعروفة بالمدشونية ، إلى غربىّ مسجد الفتح .

فبطحان علم وضع لهذا المسيل فى حدوده المذكورة فحسب ، ولا دخل لهذا الاسم فيما جاور المسيل من البقاع .

وربما يكون منشأ هذه التسمية ملاحظة ما فى مسماها من البطحاء .

وقد نزع اسم بطحان عن هذا المسيل فى العرف الحاضر ، وخُلع عليه اسم « أبى جيدة » ولا نعرف ما هو أبو جيدة ؟ ولا المغزى منه ؟

ويتيامن سكان المدينة بقدوم سيل أبى جيدة ، ولعل السبب فى ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » .

ويصدر بطحان من ذى حدر ، فجفاف ، وهى قرية قربان ، ثم يسيل فى فضاء متسع ، ويستبطن بعده وادى بطحان ، ويذهب حتى غربىّ مسجد الفتح حيث منتهى وادى بطحان ، ثم يسير إلى زغابة .

(٤)

وادى مذينيب

مصدره من حلائى صعب (جبلان كبيران بحذاء جبل الأغوات) على نحو سبعة أميال من المدينة ، ومصبه فى زغابة . وقد تتبعنا مجراه فاذا هو آت من شرق حصن كعب بن الأشرف ، وبالقرب من الحصن يشكل نصف دائرة ، فى وسطها الحصن ، ثم يفيض فى مسيله شمال أم أربع فأم عشر ، ولا يزال سائراً حتى يختلط بوادى بطحان فى مبدئه .

وعلى هذا الوادى كانت منازل بنى النضير ، وهم أول من احتفر به وبنى وغرس ، وقد نزل عليهم بعض قبائل العرب فشاركتهم فى ذلك ، ومن هؤلاء الأشراف ، والد كعب صاحب الحصن المشهور باسمه .

وقد أجلى النبى صلى الله عليه وسلم بنى النضير هؤلاء بسبب غدرهم فى غزوة الأحزاب ، وبإخلائهم لهذه الجهة أصبحت من ممتلكات المهاجرين ، قسمها بينهم النبى خاصة دون سواهم اغناء لهم وكان ذلك برضى من إخوانهم الأنصار .

(٥)

وادى مهزور

مصدره من حرة واقم . . قال ابن شبة : إنه يأخذ من شرقى هذه الحرة ومن هكر : « موضع ماء على أربعين ميلا من المدينة » ومن حرة صفة حتى يأتى أعلى حلاءة بنى قريظة ، وهناك ينقسم إلى شعبتين ، إحداهما تختلط بوادى مذينيب ، والأخرى تذهب حتى تتصل بمذينيب بفضاء بنى خطمة ، ثم يجتمع مذينيب ومهزور ويدخلان فى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مشربة أم إبراهيم ؛ ويصرح السمهودىّ بأن مهزوراً بعد أن يجتمع بمذينيب هناك تصبان فى بطحان .

* * *

وفى أصيل يوم ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ عنيت باكتشاف حقيقة مجرى مهزور هذا الذى كثر اختلاف مؤرخى المدينة حوله ؛ فذهبت مشرقاً فى الحرة رغبة فى تَبيُّن مجاريه العليا ، وبعد بحث عميق اهتديت إلى مجراه العلوىّ فى الحرة .

ومما يجدر بالذكر أن الاسم الحقيقى لهذا الوادى تُنوسِيَ بين أهل هذه القرية ، فهم إنما يعرفونه باسم « الغاوى » .

ومهزور ، أو الغاوى يتشعب فى الحرة إلى شُعب عدة ، لا تلبث أن تتجمع كلما اقتربت من أرض العوالى . وفى أوائل هذه القرية وأواخر الحرة تتحد الشعبتان البارزتان من الوادى فتسيلان فى تعاريج حتى تحاذى مسجد مشربة أم إبراهيم ، فتمر من جانبه الجنوبى غير داخلة فى أرض المسجد لا عتلائها ، ثم تعود فى الالتواءات ، ميممة شطر الشمال الغربىّ فى مجار ضيقة جداً عانينا المشاق فى تتبعها لكثرة التواءاتها ولاحتفاف الصيران بها من كل ناحية حتى إنها لتكاد تختفى من أمامنا لولا شدة العناية والاستقصاء . وهكذا حتى تصل إلى صفصف بشمال الماجشونية « المدشونية » فيجتمع مهزور بمذينيب فى هذا الفضاء ، ويذهبان فى اتجاه شمالى حتى يصبا معاً فى بطحان . ثم إلى زغابة .

(٦)

وادى قنـاة

هذا الوادى يجىء من شرق المدينه وسمى بهذا الاسم لقول تبع فيـه : « هذه قناة الأرض » والقناة لغة : الأرض المحفورة لجرى الماء فيها .

وأعلى مصادره من وجّ بالطائف ، ويشق الحرة الشرقية ، فى قسمها المحترق ، ويمضى هابطاً حتى يفضى إلى حذاء أحد من ناحيته الجنوبية ، ويستمر حتى يصب فى زغابة .

ويطلق عليه هنا اسم « سيل سيدنا حمزة » وقد عملت له سدود متعددة شرقى ضريح سيد الشهداء ، وشكلها يدل على أنها من آثار بنى عثمان .

ويحدثنا التاريخ بطغيان هذا السيل فى أواخر القرن السابع عام ٦٩٠ هـ وأوائل الثامن : عام ٧٣٤ هـ : أربع مرات ، بصورة عظيمة هلع منها الناس وخافوا من فيضانه على المدينة وإغراقها ؛ ولـكن الله سلم .

ويبعد عن المدينة فى أقرب جهاته نحو ٣٠ دقيقة بالمشى المتوسط . وهذه الجهة هى الواقعة بين المدينة وضريح عم الرسول وأسد الإسلام .



قسم الآبار

الآبار

تمهيد :

كان مدار شرب أهل المدينة فى الجاهلية على الآبار ، وقد قدم الرسول عليه الصلاة والسلام وحالة الشرب جارية على ما ذكرنا ، واستمر الحال على ذلك أيضاً فى حياته .

وفى خلافة معاوية أجريت العين الزرقاء ، فتحول إليها الشرب ، ولكن كثيراً من الآبار العذبة احتفظت بمركزها إما لعذوبتها الزائدة ، أو لعلاقة دينية مع ذلك .

وفيما يلى وصف أكثر الآبار المشار إليها : —

(١)

بئر أريس

هذه البئر تقع غربى مسجد قباء بنحو ٣٨ متراً ، وعمقها ١٢ متراً ، وفى أسفلها فتحتان يجرى منهما الماء إلى قاع البئر ، وفتحة ثالثة تصلها بمجرى العين الزرقاء .

وأريس اسم لصاحبها .

وتاريخ حفرها مجهول لدينا وهى مطوية بالحجارة المنحوتة المطابقة وتعلوها قبة عالية ، مجصصة داخلا وخارجاً ، وهذه الهيئة تشهد بأنها عمارة عثمانية ، وبجوارها إلى الجنوب قبة أخرى ذات محراب فيه ، فوقه كتابة باللسان التركى ، ولهذه القبة فتحة تطل على البئر ، ويستقى منها أيضاً ، وبجانب البئر حمام وبشرقه بركة كبيرة .

ويستخرج الماء من البئر بواسطة السانية . وقد جدد السلامىّ درجاً لهذه البئر يهبط منه إلى قاعها سنة ٧١٤ هـ ، وكأنها بقيت على ذلك حتى جُدّد طيها فى عهد الدولة العثمانية ، فطمت الدرج لتقادمه وتداعيه ، وشيدت على البئر هذه القبة وبنيت بجانبها القبة التى تليها .

وماء البئر غزيرة ، وسواء صح ما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها أم لم يصح ، فإن ماءها عذب شهى . ولا بدع فإنه آت من الصخور .

وبئر أريس مأثورة ، جلس الرسول على قفها ومعه أبو بكر وعمر وعثمان . وتسمى بئر الخاتم ، لسقوط خاتم النبي من يد عثمان بن عفان فيها . وذلك بعد ست سنوات من خلافته .

---

(٢)

بئر رومة

هذه البئر فى عرصة العقيق الكبرى ، بقرب مجتمع الأسيال ، شمال غرب المدينة ، وتبعد عنها نحو ساعة ونصف ، وقطرها ٤ أمتار وعمقها ١٢ متراً . . وبجوارها أبنية مستحدثة وإيوان أو مسجد ، لا أدرى ! به محراب ، لعل بانيه بنو عثمان ، نظراً لهيئته ، وأمام هذا الإيوان أو هـذا المسجد بركة مربعة واسعة جميلة :

تنصب فيها وفود الماء جارية كالخيل مفلتة من حبل مجريها

والبئر غزيرة الماء . وماؤها عذب صاف للغاية . وهى مطوية بالحجارة المطابقة المنحوتة طياً محكماً ، وتسقى مزرعتها بالسانية .

وتوجد بناحيتها الجنوبية بمسافة نحو ٤٠ متراً ، آثار بناية ضخمة علتها الرمال وقد كشف عنها أخيراً مستأجر المزرعة ليعمر من حجارتها مكاناً بحذاء البئر ، فظهرت أسس هذه البناية الهائلة ، وبدت تربيعات غرفها العظيمة ، وقد عثر على قبرين فيها . . وفيهما هياكل بشرية . وقد رأيت أحدهما فإذا شكله يدل على أنه قديم إن لم يكن جاهلياً . . وهذا البناء هو الذى قال عنه السمهودى :

« وعندها (أى بئر رومة) بناء عال بالحجارة والجص وقد تهدم » . اهـ .

وقال عنه المطرى : « إنه كان ديراً لليهود » .

وقد اعتور البئر خراب بعد خراب ، كما عُمرت مراراً . روى المطرى أنها كانت خربة فى زمنه (القرن الثامن) وفى هـذا القرن نفسه جددت ثم خربت ، فأحياها القاضى شهاب الدين الطبرى ، ولا نعلم هل عمارتها هى عمارة هذا القاضى أم كانت بعده ؟

ولعذوبة ماء بئر رومة رغب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فى شرائها وجعلها وقفاً على المسلمين . . فأجاب هذه الرغبة العالية ، صهره عثمان بن عفان واشتراها بعد اللتيا والتى من صاحبها اليهودى الحريص بمبلغ (٢٠٠٠٠) درهم ، ونفذ فيها رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهى مع مزرعتها اليوم من جملة أوقاف المسجد النبوى . ومن إدارة الأوقاف تستأجر .

(٣)

بئر غرس

كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من هذه البئر ، و يستقى له منها ، و بمائها أوصى بغسله بعد وفاته عليه الصلاة والسلام على قول بعض الرواة .

وكانت فى حياته لسعد بن خيثمة ، ولعله الأنصارى الذى اتخذ الرسول داره بقرب مسجد قباء ، موضع حديثه مع الناس .

و بئر غرس معروفة اليوم ، وقد شاهدناها مراراً فى أثنـاء نزهتنا بقرية قربان ، فى حديقة الغرس ، وهى واقعة فى شمال غرب هذه الحديقه ، ولهادرج كان ينزل به إليها . ومع أنها مأثورة ، ومع غزارة مائها وقربه من سطح الأرض ، فإنها اليوم معطلة .

وقطرها ٤ أمتار وعمقها ٤ أمتار ، وهى مطوية بالحجارة المطابقة طياً محكما ، وعليها بناية سانية مهجورة .

قال المطرى : انها خربت فى زمنه (القرن الثامن) ثم جددت بعد ذلك وقال السمهودى : — « انها خربت بعد ذلك فابتاعها خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكى شهاب الدين أحمد القاوانى وحوط عليها حديقة وجعل لها درجة ينزل إليها منها ، من داخل الحديقة وخارجها وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفاً ووقفها عام ٨٨٢ هـ » اهـ .

والحديقة المشار إليها موجودة إلى اليوم . واسمها الغرس . ولا تزال وقفاً . والمسجد المذكور لا تزال أطلاله واقفة ، وهو متصل بالبئر بشمالها الشرقى ، و بناؤه بالحجارة والطين وهو مكشوف ، ولا نعلم هل كان كذلك فى أيام حداثة بنائه ! أم حدث له بعد ذلك . وهو مربع طوله ٣ أمتار فى عرض مثلها ، وارتفاع الباقى من جدره متران وله بابان شرقى وشمالى .

وطريق بئر غرس من المدينة هكذا :

باب العوالى — طريق قربان — ميل إلى الشرق فى زقاق ضيق — البئر .

(٤)

بئر حاء

هـذه البئر خارج سور المدينة ، قريبة منه ، فى ناحية المدينة الشمالية الشرقية وتبعد عن أقرب نقطة إليها من السور نحو ١٣ متراً ، وهى فى طرف زقاق منحدر ، وفيـه فتحتها ، وهى مطوية بالحجارة من أسفل إلى قرب الفتحة . ويخالف شكلها شكل الآبار بالمدينة إذ هى (بيرحاء) مربعة الطى ، والآبار غيرها مستديرته . وعلى بيرحاء عقد صغير من الطوب الأحمر .

نقل السمهودى عن ابن النجار أنها كانت فى عهده وسط حديقة صغيرة جدا فيها نخلات ، وعندها بيت مبنى على علو من الأرض ، وهى قريبة من سور المدينة ، ولبعض أهلها ! وملؤها عذب . وقال السمهودى : « وهى اليوم على هذا النعت » .

ونحن نقول : « وهى اليوم على أغلب هذا الوصف » — لأنها ليست فى وسط حديقة بل فى ركن المنزل التابع لها أو التابعة له ، وبشرقها قطعة صغيرة من الأرض جرداء بها نخلتان هرمتان ظامئتان ، ولعلهما من بقايا حديقتها المذكورة .

وينزح الماء من البئر بالدلاء . وكانت لأبى طلحة الخزرجى المثرى الشهير وكان قد عزم على جعلها وقفاً طبق استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك لما سمع قوله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » . . لأنها كانت أحب أمواله إليه . . فقبل الرسول منه أصل رغبته . وهو إيقافها وأشار بأن يجعلها فى الأقارب . . وقد آل قسم منها لحسان بن ثابت ، واشتراها جميعاً معاوية بن أبى سفيان ، وبنى بها قصر بنى جديلة (لوقوعه فى منازلهم) ليأوى بنى أمية إذا حدثت بهم النوائب كما كان مترقباً إذ ذاك .

(٥)

بئر بضاعة

دخلت حديقة بئر بضاعة فإذا هي فينانة خضراء ، ودخلت الحظيرة التي فيها البئر فإذا البئر غزيرة الماء عميقة قديمة الطى واسعة . ويمتاز ماؤها بالحلاوة بالرغم من كون ما يجاورها من الآبار ملحاً .

وتبعد بئر بضاعة عن سقيفة بنى ساعدة ، بالسحيمى ، بمسافة نحو ٤ دقائق .

والبئر والسقيفة كانتا لبنى ساعدة ، والطريق من السقيفة إلى البئر زقاق ضيق يشاهده الإنسان على يساره إذا كان آتياً من السقيفة ، من جهة الباب الشامى . وبين رأس الزقاق والسقيفة نحو ٢٠ متراً .

(٦)

بئر السقيا

موقع هذه البئر جنوبىّ بناية محطة السكة الحديدية ، يفصل بينهما طريق مكة . وتسمى البقعة التى فيها البئر ، بالفُلْجان ، وكانت منازل الحجاج الزائرين عند هذه البئر ، ولتجديدها من قبل بعض العجم عام ٧٧٨ هـ عُرِّفت فى بعض تواريخ المدينة ببئر الأعجام .

وهى عميقة محفورة فى الصخر . قطرها ٦ أمتار وعمقها ١٤ متراً ، وبجنوبها مزرعتها .

وبئر السقيا مأثورة ، شرب الرسول صلى الله عليه وسلم ، من مائها وتوضأ ، وعلى أرضها الفلجان ، عَرَض الجيش الذاهب إلى بدر ، وكانت ملكاً لذكوان الزرقى ، واشتراها منه سعد بن أبى وقاص .

(٧)

بئر أبى أيوب

الظاهر أن أبا أيوب الذى تنسب إليه بئران أو ثلاث بالمدينة ، هو أبو أيوب الأنصارى الذى كان النبى نزيله حين قدم إلى باطن المدينة . . وإلا فمن هو أبو أيوب هذا الذى يعتنى المؤرخون بوصف آباره ؟

والبئر التى نِسْبَتُها لأبى أيوب الأنصارى صحيحة ، هى البئر التى بشرق الرومية شمال البقيع ، ولا تزال تعرف ببئر أبى أيوب وهى مطوية بالحجارة طيًّا ظاهر القِدم ، ولها درج ينزل منه إليها وقد طُمَّ أعلاه . . وهذا الدرج قد نوه عنه السمهودى . . إذاً فهذا الطىُّ هو القديم الذى كان على عهده (القرن التاسع).

وماء بئر أبى أيوب ، ليس بالملح الاجاج ، ولا بالحلو العذب ، طعمه بين ذلك برغم وقوعها فى أرض مسبخة .

وهى واقعة فى حديقة صغيرة من أوقاف الأشراف العلويين من المغاربة، وكانت تعرف بأولاد الصفى فى القرن التاسع .

والطريق من المدينة إلى بئر أبى أيوب : — الباب المجيدى — الرومية — حذاء باب الشكنة المستحدثة بأواخر الرومية — عطفة صغيرة

بعد هذه الشكنة — ممر ضيق مرتفع مشرق — فإذا سار المار بهذا الزقاق نحو دقيقتين يشاهد باب بستان منحدر ، قبالته . . فهذا البستان المنحدر هو حديقة بئر أبى أيوب ، والبئر فى غربها من الداخل .

---

(٨)

بئر زروان

يطالبنا العلم والتاريخ بوصف هـذه البئر التى وقعت فيها حادثة السحر المعلومة ، فما الذنب للبئر ، وإنما هو على لبيد بن الأعصم الذى سولت له نفسه الخبيثة إذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حماه الله منه .

فهو إن أساء إلى النبى من جهة ، فقد آذى بنى زريق الأنصاريين أهل هذه البئر التى كانت عذبة ، حيث حال بينهم وبين الاستقاء منها بفعلته الشنعاء فاضطروا لتهويرها .

والشائع بين الناس انها البئر المطمومة الكائنة أمام محلة النخاولة ، تحت أحد أبراج سور المدينة الجنوبى ، وتلقى فيها وحواليها القمائم والأقذار . . .

وذروان اسم قديم لهذه المحلة ، ولا تزال تحمله ، وهى من جملة منازل بنى زريق أصحاب البئر . وسور المدينة الداخلى اليوم ، يفصل بين المحلة والبئر ، ويقول المطرى إنها بداخل السور ، وكأنه يعنى السور الخارجىّ الذى يطيف بمحلة النخاولة المتصل بباب العوالى .

---

(٩)

بئر عروة بن الزبير

بئرُ عروة بطرف حرة الوبرة الغربىّ بالنسبة للمدينة عن يمين الطريق لمن يسافر إلى مكة .

وتبعد عن المدينة نحو ٣٥ دقيقة من باب العنبرية بالسير المتوسط ، وقطرها وعمقها كبئر رومة تقريباً . وبجوارها قهوة مستحدثة ، وابنية مهدومة ، وهى مطوية بالحجارة المنحوتة المطابقة طياً محكماً جداً . ولا نعلم من طواها بهـــذا الشكل . . فقد كانت مطمومة فى القرن التاسع الهجرى . وبجنوبها عن يمين الطريق مسجد بناه السيد عبد المحسن أسعد .

ويستخرج الماء من البئر بالدلاء تارة ، وبالسانية أخرى . وهى

غزيرة ، وماؤها أصفى مياه المدينة وأشهاها ، وله لذة خاصة . . ويقول ابن خلكان : ليس بالمدينة بئر أعذب منها . . وفي وصفها يقول السرىّ ابن عبد الرحمن الأنصارىّ : —

سخنة فى الشتاء باردة صيفاً سراج فى الليلة الظلماء

وكان بكار يقدم ماءها ، هدية ، فى قوارير لأمير المؤمنين هارون الرشيد وهو فى الرقة .

وقد أحضرت فى أواسط القرن الأول الهجرىّ .

هذا ومن المستملح أن نختتم هذا الفصل بنادرة اتفقت لى مع صاحب القهوة المشار إليها آنفاً ، فقد سألته مباسطاً : —

من هو عروة الذى تنسب إليه هذه البئر ؟

فأجابنى فى شىء من الزهو والإعجاب :

عروة التى تنسب إليها هـذه البئر هى امرأة قديمة من اليهود حفرت هذه البئر قبل الإسلام فنسبت إليها . . .

وعبثاً حاولت إقناعه بأن عروة هو ابن الزبير بن العوام ؛ فإن الرجل قد تملكت جوانب دماغه فكرة انتساب البئر وحفرها لامرأة يهودية إسمها عروة . . . ولرسوخ هذه الفكرة فى ذهنه انسد عنه كل باب للاقتناع بما عداها . . . ولا غرو فإنه أمىّ جاهل ، وكم للأمية من آفات ، وكم للجهل من افتئات ؟ ! !

قسم العيون

العيـون

تمهيد : —

فى المدينة اليوم أربع وعشرون عيناً جارية ، منها العين الزرقاء . وهى أعمها وأهمها . والباقى منها يسقى البساتين . ومصدر كل هـذه العيون عالية المدينة .

وقد كانت عين الشهداء التى احتفرها معاوية جارية إلى ما قبل ١٥ عاماً ثم توقفت .

ولأنها هى والعين الزرقاء هما العينان الأثريتان فقد وصفناهما فيما يلى : —

(١)

الكظامة أو عين الشهداء

أجرى هذه العينَ معاويةُ فى خلافته . وتسمى عين الشهداء لمرورها على قبورهم ساعة إجرائها . قال السمهودى إنها تأتى من العالية . . وهى العالية الشرقية . . . وترى فتحاتها مسامتة لسفح أُحد الجنوبىّ وهى أقرب العيون إليه . فإذا وصلت إلى جنوب القبة المعروفة بقبة الثنايا كان لها منهل هناك ، ويبعد عن القبة المذكورة نحو ٣٨ متراً ، وتسير العين مغربة مارة على قبور الشهداء — شهداء أحد — التى هى الرضم الواقعة بغربىّ ضريح حمزة رضى الله عنه بنحو ٥٠٠ ذراع حتى تبلغ إلى البساتين المعروفة بخيف الثنايا ، وخيف معاوية ، وهناك مغيضها . وهذا الخيف أقرب الخيوف إلى الضريح المذكور ، وكانت عين الشهداء جارية ، ومنذ ١٥ عاماً توقفت .

ويدل فحوى حديث جابر بن عبد الله الصحابى على أن تاريخ احتفارها كان عام ٤٣ هـ . . فهى إذاً أقدم من العين الزرقاء ببضعة عشر عاماً ، أو ما دون ذلك .

العين الزرقاء ، أو عين الأزرق

فى رأيى أن هذه العين تعد فاتحة عصر جديد فى حياة سكان المدينة . . فقد نقلتهم من طور الاستقاء من الآبار ، وما يلزم لهذا الطور من دلاء وبكرات ورفع وخفض ، إلى طور الاستقاء من مناهلها الفياضة مباشرة ، وبدون نزح ولا كلفة .

* * *

لم تزل الآبار عمدة شرب أهل المدينة حتى جاءت خلافة معاوية . . وكانت المدينة قد زخرت بالسكان .

وكأنى بهذا الخليفة الذى حنكته التجارب قد لاحظ ذلك ، ففكر فى القيام بمشروع يبقى له أحسن أحدوثة وأطيب ذكرى ، ألا وهو إرواء هذا البلد من ماء معين دائم الانسكاب .

فكر فى ذلك حينما شاهد أنهار الشام تروى أهلها بهذه الصفة . . ومن أحق بهذه الرفاهية من سكان مهد الإسلام ؟ خصوصا مع ملاحظة حالتهم السياسية فى ذلك العهد مع الدولة القائمة ، وما ينبغى لهم من الاستمالة إلى كفتها لتكون الراجحة دينياً وسياسيا على غيرها من الدعاة الدهاة . .

كأنى بهذا كله ، وقد جال فى خاطر معاوية رضى الله عنه فخانت

منه التفاتة إلى خزائنه المالية ، فرآها على ما يسر ، تفيض بالأبيض والأصفر . . فكتب فى الحال بإنفاذ المشروع إلى عامله على المدينة ، ابن عمه مروان بن الحكم . فصدع هذا بالأمر ، واختار من فطنته أو خبرة من استحضره من المهندسين ، أن يكون منبع العين المزمع احتفارها من بئر الأزرق بقباء ، فحفرها من هناك ، وأجراها فى هذا النفق الأرضى (الدبل) فسالت فيه متطلبة المنحدرات ، ولما وصلت إلى المدينة بنى لها المناهل ففاضت منها ، وجاء أهل المدينة يستقون ويشكرون .

لم يذكر مؤرخو المدينة الذين بين أيدينا تواريخهم ، وتاريخ احتفار العين الزرقاء ، ولا كيفية وضع تصميمها . . اكتفوا عن بيان هاتين النقطتين الهامتين بقولهم مثلاً : « وسميت العين الزرقاء نسبة إلى مروان بن الحكم الذى أجراها بأمر معاوية . لأن مروان كان أزرق العينين » .

وبناء على ما لدينا من المعلومات التاريخية نقول : إن تاريخ احتفارها كان فى مبادىء النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، حيث إن إمارة مروان على المدينة كانت فى أوائل النصف المذكور . وأما التصميم فلا نعلم عنه شيئاً ما .

* * *

وأصل العين من بئر الأزرق فى بستان الجعفرية ، غربىّ مسجد قباء ، وقد أضيفت إليها آبار فى أوقات متفاوتة كبئر أريس وبئر الرباط وبئر بويرة ، كما أنها مدت بينابيعَ حُفرت فى جنوبىّ بئر الأزرق أيضاً ، وتسير من مصادرها المذكورة إلى بئر الشلالين ، فتفيض فيه ثم إلى بئر الغربال ، فبئر جديلة ، وهنا تمدها بئر السرارة ، وبئر القلعجية ، وبئر السيد عبد الرحيم السقاف ، ومن هناك تأتى إلى المدينة ، ولها بها عدة مناهل ، وتخرج من المدينة إلى الشمال . وحذاء بستان داود باشا تنقطع ، ويسير فائضها مع المـاء الملح الآتى معها من بئر جديلة إلى البركة شمال الجرف ، وهناك مغيضها .

وقد اهتم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بأمر هـذه العين كاهتمامه بالمياه والعيون فى جدة ومكة ، فجعل للعين الزرقاء هيئة رسمية تسمى « لجنة العين الزرقاء »[1] كالسابق ، وبنى لها بناية شامخة مشاهدة فى باب السلام ، وذلك عام ١٣٤٩ هـ ، وهى بجانب منهل من مناهل العين .

* * *

إصلاحاتها : لا نعلم شيئاً عنها قبل الدولة العثمانية . وفى أوائل حكم هـذه الدولة توقفت فضاق أهل المدينة ذرعاً بذلك فعمرها

(١) يرأس هذه الهيئة الآن السيد زين العابدين مدنى .

السلطان سليمان سنة ٩٣٢ ﻫ ثم عمرها مراد سنة ٩٩٩ ﻫ . وفى سنة ١١١١ ﻫ أضاف إليها السلطان مصطفى بئر عذق . وفى عام ١٢١٢ ﻫ بنى مجراها السلطان سليم . وفى القرن المذكور أصلحها محمد على باشا . وفى القرن الرابع عشر جددها السلطان عبد الحميد الثانى وهو الذى أضاف إليها بئر بويرة . وفى عام ١٣٤٩ ﻫ عمرت الحكومة العربية السعودية مجاريها .

وهذا عدا الإصلاحات المستمرة التى كانت تجرى فيها فى عهد الحكومات المتوالية .

وفى عام ١٣٤٩ ﻫ اقترحت مديرية الصحة العامة بمكة المكرمة ، مدّ أنابيب حديدية فى طول مجارى العين ، وقاية لها من التلوث . . ولما يلزم لهذا المشروع من نفقات باهظة ، ثم لما فيه من صدّ الإمدادات المائية التى تتسرب إلى العين من ينابيعها المعروفة بالمراوى . لذلك كله طوِى المشروع ولم يُرَ إنفاذه .

* * *

مناهلها[١] : — هذه المناهل مبنية وذات قباب ، ولها درج ينزل منه إليها . وهذا بيانها : —

١ — المنهل الواقع بشمال مسجد المصلى : (ذو شعبتين : الشرقية للرجال ، والغربية للنساء) .

(١) هذه المناهل كلها عطلت وجعلت فى محلها الكباسات .

٢ — منهل باب السلام (ذو شعبة واحدة) .
٣ — المنهل بوادى بطحان ، بين باب قباء والجسر الممدود عليه الشارع : (هو عبارة عن ست آبار مرتفعة عن مجرى السيل يستخرج منها الماء بالدلاء والبكرات) .
٤ — منهل الساحة قرب بستان السلطانية : (ذو شعبة واحدة)
٥ — منهل حارة الأغوات : (ذو شبعة واحدة)
٦ — منهل الزكى : قرب مشهد النفس الزكية : (ذو شعبتين)
٧ — منهل باب بصرى : (آبار يستقى منها بالدلاء والبكرات)
٨ — منهل الباب المصرى : (من داخل الباب ، وهو بئر صغيرة الفتحة ينزح منها الماء بالدلو) .
٩ — منهل بداخل قلعة الجبل الشامى : (عليه ماكنة رافعة للمياه توصلها إلى الكباسات فى أنابيب حديدية) .
١٠ — منهل العطن : (لا يستعمل للشرب بل للغسل لأنه من فائض العين)

ونحن نكتب هذه السطور والعمل جارٍ فى فتح منهل جديد خارج باب الحمام ، فإذا تم فتحه ، فتكون عدة مناهل العين الزرقاء اليوم ١١ منهلاً . . [٧] منها منخفضة يهبط إليها من سلالم حجرية . و [٣] مرتفعة يؤخذ منها الماء بالدلاء . و [١] عليه ماكنة الكباسات .

الكباسات : — لكون هذه الكباسات ، على ظاهر الأرض ، ولأنها عبارة عن صنابير (حنفيات) بمجرد فتحها تفيض منها المياه ، لذلك ، ولهذا ، تعد بحق فتحاً جديداً فى كيفية الاستقاء بالمدينة فى هذا العصر ، كما كانت العين الزرقاء فى القرن الأول الهجرى .

منذ أواخر الحكومة العثمانية بوشر إنشاء الكباسات بالمدينة ، ولا تزال عملية إنشائها[1] مستمرة . وهذا بيانها الآن : —

الكباس	موقعه
أمام حوش سنان	محلة العنبرية
« التكية المصرية	« «
« مسجد بهرام آغا	« «
داخل حوش الجوهرى	« «
بالمستشفى المعروف بالخاسكية	« «
بدار الامارة	« «
بداخل الشكنة العسكرية	« «
حوش خير الله	محلة زقاق الطيار
أمام زقاق الطيار	محلة المناخة
حوش خميس	« «

(١) قد عممت الكباسات فى زماننا فى جميع شوارع المدينة وأحواشها وبعض ضواحيها وأدخلت الأنابيب ببعض دور المدينة والحمد لله على ذلك .

الكباس	موقعه
فى رأس زقاق جعفر	محلة المناخة
بدائرة الشرطة	» »
بمركز الهجانة	» »
بداخل السجن	» »
فى دائرة الطحن والكهرباء	» »
فى داخل القلعة للبستان	» »
أمام دار أبناء على حسين	محلة المحمودية
أمام الحجارية	محلة الجُديّده
أمام باب القاسمية	درب الجنائز
أمام باب الحمام	» »
« باب العوالى	» »
داخل دار السيد زين مدنى	محلة ذروان
أمام دار الأركوبى	» »
أمام بيت أبى عشرين	» »
أما بناية كهرباء الحرم النبوى	دار الضيافة
بداخل بناية « » »	» »

الكباس	موقعه
بجانب دار السيد محمود أحمد	محلة الساحة
أمام حوش فواز	« «
أمام حوش بابين	« «
أمام مدرسة العلوم الشرعية	محلة الباب المجيدى
داخل المدرسة الأميرية	« « «
داخل فندق آل المدنى	« « «
أمام « « «	« « «
أمام دار الشيخ حسن الشاعر	« « «
أمام الباب الشامى من الخارج	محلة الباب الشامى
أمام البساطية	« « «
أمام ثنية الوداع	« « «
فى بطين جبل سلع	« « «
داخل دائرة اللاسلكى	« « «
أمام المخفر الأول	بطريق سيد الشهداء
أمام المستراح	« « «
أمام بستان المصرع	« « «
أمام الصهريج	« « «

الكباس	موقعه
جنوبى بستان المفتية	قرية العيون
أمام منهل باب السلام	غربى باب السلام
فى داخل المستشفى	» » »
بجانب المستشفى	غربى باب السلام
بشارع العينى	» » »
خارج باب البرابيخ	محلة السيح

فهذه (٥٠) كباساً موجودة فى الوقت الحاضر .

وسيأتى يوم تعم فيه الكباساتُ المدينةَ حتى تمد إلى داخل البيوت ، وفى ذلك من الرفاهية والراحة الشىء الكثير .

:::::::::::::::

التوسعة السعودية

للمسجد النبوى الشريف

إتماماً للفائدة المرجوة من نشر هذا الكتاب القيم «آثار المدينة المنورة» نرى أن نلحق به ملخصاً عن العمل القائم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى توسعته الحالية وعمارته الضخمة على نفقة الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ثم على نفقة خلفه صاحب الجلالة الملك سعود — أيده الله — وقد استقينا هذه المعلومات من مدير مكتب مشروع التوسعة سعادة الشيخ محمد صالح القزاز المشرف على إدارة أعمال العمارة بهمة فائقة وإخلاص منقطع النظير .

الناشر : محمد سلطان النمكانى صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

التاريخ فى ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فإن التفكير فى مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف لم يكن طارئاً لدى المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود بل إنه كان يجول فى نفسه منذ أمد ليس بالقصير حتى أذن الله سبحانه وتعالى له بالبروز فخرج إلى عالم الوجود .

ففى عام ١٣٦٨ هـ تفضل جلالته فأصدر كتاباً مفتوحاً موجهاً إلى جريدة المدينة برقم ٢٧/٤/٢/١٣٧٨ وتاريخ ١٢/٨/١٣٦٨ هـ يبشر فيه العالم الإسلامى بعزمه على توسعة المسجد النبوى الشريف وقد نشر هذا الكتاب فى الجريدة المذكورة فى عددها الصادر بتاريخ ٥ رمضان عدد ٣٠١ سنة ١٣٦٨ هـ .

ومن ذلك التاريخ أخذ المشروع طريقه للدرس حتى وصل إلى المراحل العملية . وفى السطور الآتية تفاصيل مراحل العمارة الجليلة فى أدوارها المختلفة .

فى اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٧٠ هـ بدىء فى تنفيذ مشروع عمارة الحرم النبوى الشريف وكان أول ما بدىء به هو هدم الدور المحيطة بالمسجد والتى انتزعت ملكيتها واستمر العمل جارياً فى نقل أنقاضها ومتخلفاتها وكل ما استلزمه الحال .

في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٢ ﻫ زار المدينة جلالة الملك سعود وفي حفل كبير وضع جلالته الحجر الأساسي للمسجد النبوي الشريف .

في ١٤ شعبان سنة ١٣٧٢ ﻫ بدئ في حفر الأساسات في المسجد الشريف بالجناح الغربي بالمنطقة التي باب الرحمة .

في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣٧٢ ﻫ بدىء في بناء العمارة الشريفة .

في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ ﻫ زار جلالة الملك سعود المدينة المنورة وبنى بيده في عمارة المسجد ووضع أربعة أحجار في إحدى زوايا الجدار الغربي بالمسجد الشريف تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم .

أنشىء مكتب خاص لمشروع التوسعة به أكثر من خمسين موظفاً يعملون في الأعمال الإدارية والفنية والحسابية والمستودعات وغيرها من الأقسام اللازمة لمثل هذا العمل الجليل كالآتي :

المكتب الرئيسي — قسم التحرير — القسم الحسابي — قسم الصندوق — القسم الفني — قسم المستودعات .

شكلت لجنة خاصة من كبار رجال المدينة لتقدير قيم العقار وقد روعي في ذلك مصلحة أصحاب الأملاك وقدرت لهم بأوفى ثمن .

بلغت مساحة الأراضي للدور والأملاك التي انتزعت ملكيتها للتوسعة

والشوارع والميادين التي حول المسجد النبوى ٢٢٩٥٥ متراً مسطحاً .

أنشئ من أجل العمارة مصنع مخصوص لعمل الأحجار الصناعية (المزايكو) وزود بكافة الأدوات الميكانيكية واختير له مكان فى منطقة ابيار على حيث جلب له مهندسون وإخصائيون وعمل تحت إشرافه أكثر من أربعمائة شخص .

عمل بالحرم الشريف أربعةعشر مهندساً ، منهم اثنا عشر مصرياً وواحد من السوريين وواحد من الباكستان ، وعمل تحت إشرافهم أكثر من مائتى صانع من المصريين والسوريين وعدد من الباكستانيين والسودانيين واليمانيين والحضارمة ، كما عمل معهم أكثر من ألف وخمسمائة عامل من السعوديين .

استحضرت رافعات وسيارات ضخمة ودركترات وآلات مختلفة ميكانيكية من أحدث الآلات الفنية ،وكلها عملت فى عمارة الحرم الشريف وزاد مجموعها على أربعين قطعة .

استعمل ميناء ينبع لترسو به البواخر التى تحمل الأخشاب والحديد والأسمنت وجميع مواد البناء اللازمة للعمارة الشريفة ثم تنقل هذه المواد على السيارات الضخمة للمدينة المنورة ، وقد رست به أكثر من ثلاثين باخرة جاءت خصيصاً بمواد الحرم الشريف وقد بلغ مجموع ما أفرغته فى الميناء (ما يزيد على ثلاثين ألف طن) من الحديد والأسمنت والأخشاب والمواد المختلفة .

أنشئت ورشة خاصة بالمدينة زودت بالمهندسين الميكانيكيين والصناع وكلهم سعوديون لأجل تعمير وإصلاح السيارات والآلات الميكانيكية التى تعمل بالعمارة الشريفة .

	أمتار مربعة
مساحة المسجد النبوى الشريف حينما بناه النبى صلى الله عليه وسلم	٢٤٧٥
زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه	١١٠٠
زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه	٤٩٦
زيادة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك رحمه الله	٢٣٦٩
زيادة الخليفة العباسى المهدى رحمه الله	٢٤٥٠
زيادة الملك الأشرف قايت باى رحمه الله	١٢٠
زيادة السلطان عبد الجيد العثمانى رحمه الله	١٢٩٣
المساحة الكلية للمسجد الشريف قبل التوسعة السعودية	١٠٣٠٢
الزيادة التى بدأ بها جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله وأتمها جلالة الملك سعود حفظه الله	٦٠٢٤
المساحة الكلية للمسجد بعد التوسعة السعودية	١٦٣٢٧
عمارة التوسعة السعودية	٦٠٢٤

	أمتار مربعة
عمارة الأجزاء القديمة التى هدمت وأعيد تعميرها	
وهى الجهات الثلاث	٦٢٤٧
مجموع العمارة السعودية	١٢٢٧١
مساحة الجهة القبلية الباقية من البناء القديم	٤٠٥٦
	١٦٣٢٧ المجموع

إحصاء عن العمارة الجديدة

عدد الأعمدة المحيطة بالجدار	٤٧٤ عمود مربع
عدد الأعمدة المستديرة فى العمارة الجديدة	٢٣٢ عمود مستدير
الجدار الغربى	١٢٨ متر طولى
الجدار الشرقى	١٢٨ متر طولى
الجدار الشمالى	٩١ متر طولى
البواكى الشمالية	٥
البواكى الوسطى	٣
البواكى الشرقية	٣
البواكى الغربية	٣
الأبواب الجديدة	٩

الحصاوى ٢ حصوة

العقود ٦٨٩ عقد

النوافذ ٤٤ أربع وأربعون نافذة

عمق الأساسات للجدران والأعمدة ٥ أمتار. عمق أساسات المآذن ١٧ متراً. عدد المآذن ٢ ارتفاع المأذنة ٧٠ متراً .

وهكذا تحققت المعجزة الإلهية وتمت هذه العمارة على الوجه الأكمل ، وقد انتقل جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله إلى جوار ربه ، فقام الملك سعود حفظه الله بها فتمت على يده . وقد كانت هذه العمارة موضع رعاية جلالته طول مدة العمل وتحت إشرافه السامى . كما أنها كانت موضع اهتمام ولى عهده صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ومراقبته الدقيقة ، وقد رأى صاحب الجلالة عبد العزيز رحمه الله وكذلك جلالة الملك سعود من بعده أن يصرف على هذه العمارة من مالهما الخاص ، لا يشاركهما فى ذلك أحد ، وقد سارت العمارة فى طريقها المرسوم وتمت فى وقت قصير بفضل الله تعالى ثم بفضل الرعاية السامية الملكية أدام الله جلالته وسمو ولى عهده ذخراً للإسلام والمسلمين وجزى الله الجميع خير الجزاء .

حرر فى يوم السبت الموافق ٥ ربيع الأول عام ١٣٧٥ ه

